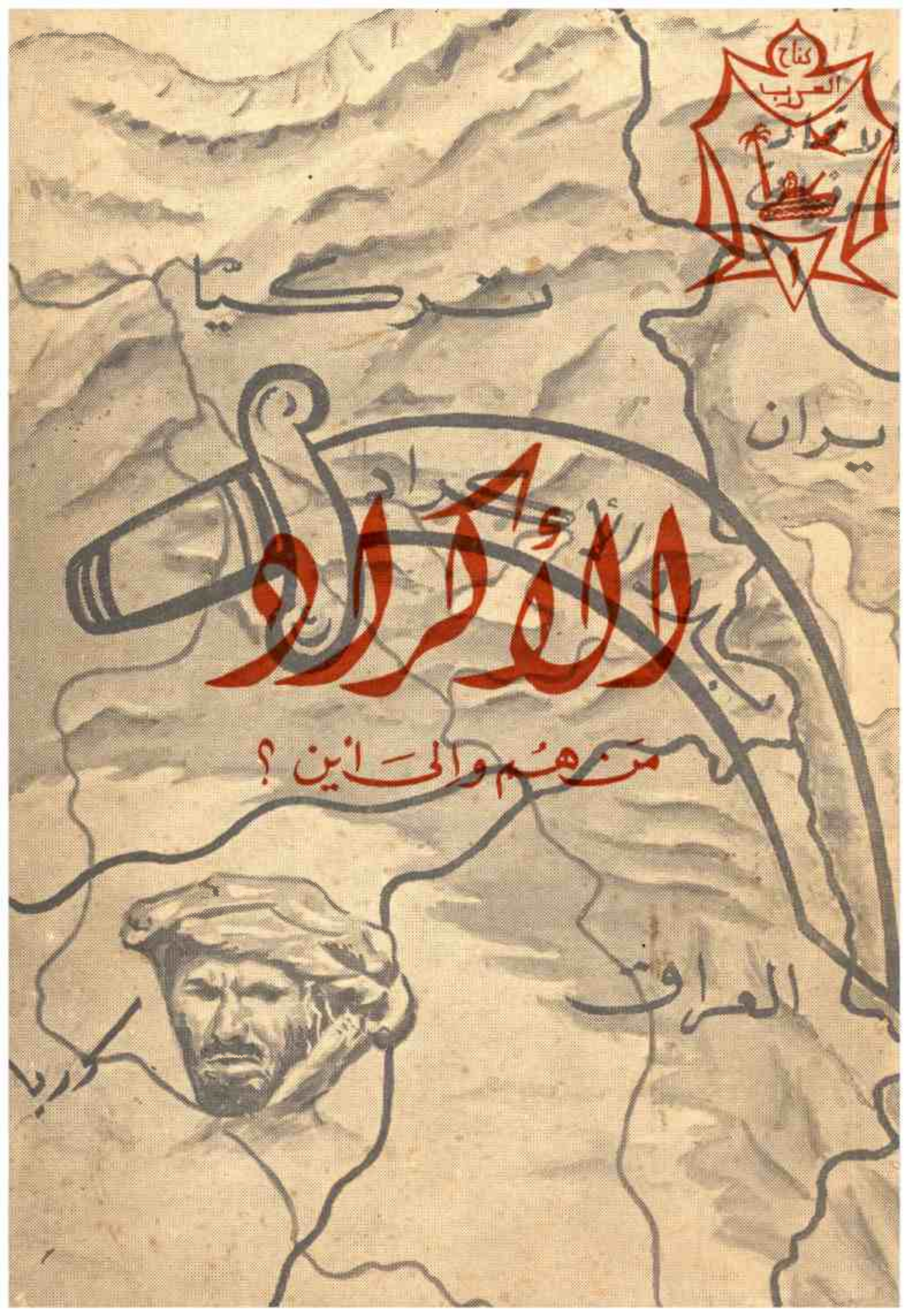
كتاب العرب

الأكراد

من هم وإلى أين ؟



كاظم حيدر

الأكراد

من هم والى أين ؟

منشورات الفكر الحر
بيروت

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الطبعة الاولى ١٩٥٩

بيروت ، ص . ب ٣٢٢٢

المحتويات

الفصل الثالث

مدخـــل

يكاد لا يمر يوم ، منذ انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، الا تذكر فيه الصحف والاذاعات في اخبارها وتعليقاتها هذا الاسم : « الاكراد » .

فالاكراد، الذين لم يشغلوا اشرطة الاخبار منذ الحركة المسلحة التي تزعمها عام ١٩٤٦ ، الملا مصطفى البرازاني ، الزعيم الكردي الشيوعي الذي عاد اخيراً من الاتحاد السوفياني ، عادوا يشغلونها اليوم بشكل بارز .

فمن هم الاكراد ؟

وماذا يريدون ؟

وكيف تحركت قضيتهم ؟

ومن حركها ؟

وما هو مستقبلها وملابساتها ، وماذا يترتب عليها ؟

الكتاب الذي بين يديك يدور على هذه الاسئلة وعلى كثير سواها ، ويحاول ان يجد لها الجواب .

اعتمدت هذه الدراسة على المصادر التاريخية اولاً وعلى تطور الاحداث في السنتين الاخيرتين ، وبالتحديد منذ الاطاحة بالعهد الملكي في العراق. وهي مقسومة ثلاثة اقسام: الفصل الاول يعرض بايجاز تاريخ الاكراد واصلهم وتطورهم ، كما يعرض جغرافية كردستان الطبيعية والاماكن التي يقيم فيها الاكراد حالياً ؛ والفصل الثاني يتضمن تاريخ نشوء فكرة انشاء الدولة الكردستانية والمراحل التي مرت بها هذه الفكرة وما رافقها من ثورات وفتن، وكيف تبلورت واتخذت شكلاً منظماً بعد الحرب الكونية الاولى؛ والفصل الاخير يشتمل على الملابسات الدولية المحيطة بقضية الاكراد الراهنة ، وعلاقة هؤلاء بالاتحاد السوفياتي وبروز الاهتمام بـ « حقوق الاكراد القومية » في البيانات الشيوعية العراقية وعلاقة ذلك بالقومية العربية ، ومن هم اعداء الاكراد ، وهل تتعارض القومية العربية والقومية الكردية ، والصراع الداخلي بين الاكراد الموالين للاتحاد السوفياتي والمناوئين له ، وماهي المضاعفات التي تترتب على اثارة قضية انشاء دولة كردستان في هذه الظروف وعلى تحريك القومية الكردية الخ ...

اما المخرج فهو خلاصة ما ذهبنا اليه في هذه الدراسة ، وهو يتوخى مصارحة الاكراد ، ذلك الشعب الباسل الذي لا يهاب الموت ، بالاخطار الحقيقية المحدقة به ، والاشارة الى اصدقائه الحقيقيين الكثر الملتفين حوله .

الفصل الاول

نشأة الاكراد

لعل تاريخ نشوء الاكراد هو من اكثر تواريخ الشعوب غموضاً على الاطلاق . وهو لهذا السبب استعصى على المؤرخين وعلماء الاجتماع ، وترتب على ذلك ، افتقار معظم مكتبات العالم الى تواريخ كثيرة واضحة نهائية عن هذا الشعب .

تقول الموسوعة العربية : « الكرد شعب آري مسلم ، موطنه كردستان . يبلغ عددهم ، حسب احصاء السنة ١٩٥٤ ، حوالي مليون ونصف . يمتون بصلة الى الايرانيين ولغتهم مشابهة للايرانية وتكتب بالحرف العربي . اما كردستان فهي منطقة جبلية جنوب جبال ارارات ، مقسمة سياسياً بين العراق وايران وتركيا . وقد شتت الاتراك في عهد اتاتورك العنصر الكردي وفرضوا عليهم التتريك . ويبلغ عدد الكرد في ايران حوالي ٥٠ الفاً . اما في العراق فينعم الكرد بمساواة تامة مع الشعب العربي » .

هذا ما تقوله الموسوعة العربية ... ونعود الى مصادر اخرى لنقرأ في كتاب «الاجناس» لـ هـ. فلورانس: «تتألف كردستان من منطقة سهلية وجبليـــة تتقاسمها تركيا وايران والعراق مع مستعمرات في القوقاس ومنحدرات جبل ارارات في ارمينيـــا السوفياتية... ومن الصعب الرجوع الى قبائل الاكراد، ولكن تذكر المخطوطات القديمة انه كان هناك شعب يدعى غوتو اوكوتي، واصبح بعد ذلك كرتي، وذلك قبل الفي سنة من الميلاد. ويمكن الرجوع بأصل بعض القبائل الى القرن السادس. وكانت حياتها لا تختلف عن حياة الاكراد اليوم».

ويتابع المصدر نفسه فيقول: «يقدر عدد السكان الاكراد الآن بين مليونين ونصف وثلاثة ملايين: مليون منها في جنوب شرق تركيا و ٧٠٠ الف في شمال غرب ايران ومليون في شمال شرق العراق ... وهم شبه رحل ويميلون الى الزراعـــة. وهم كذلك من المسلمين السنيين ويتكلمون اللغة الايرانية».

وفي موسوعة «لاروس» الفرنسية نقرأ: «كردستان بلاد آسيوية موزعة بين تركيا والعراق وبلاد فارس وسوريا، ويقطنها حوالي ثلاثة ملايين كردي».

وفي موسوعة «كييه» الفرنسية الكبرى، الجزء المشتمل على الحرف (ف) والممتد حتى الحرف (ك) نقرأ في الصفحة ٢٥١٨:

«الكرد ــ شعب آسيوي غربي (تركيــا ــ جنوب شرقي، ايران ــ غربي) يسكن البلد الجبلي القائم شمالي دجلة. انه شعب سحيق القدم: اتى كزينوفون على ذكره تحت اسم «كاردوك»

Carduques . الاكراد آريون ومن اصل ايراني. حوّلهم العرب الى الدين الاسلامي . لغتهم مزيج من التركية والعربية ، وذات صلة كبيرة بالفارسية . ليس لهم ادب . وكثيرون من الاكراد هم رعـــاة رحل ، محاربون ، نهابون ، كانوا الاداة التي استعملت للضغط على ارمينيا ».

وجنب اسم كردستان يقول « كييه » :

« كردستان – او بلاد الاكراد ، منطقة تمتـــد من جنوب شرقي تركيا الآسيوية حتى شمال العراق وايران. انه بلدالكردوك قديماً . مدنها الاساسية هي ، في تركيا : ديار بكر ؛ في العراق : الموصل ؛ في ايران : اورمياه » .

وتذكر الموسوعة ذاتها اسم كردستان مرة اخرى مع هذا التعريف :

« كردستان – مقاطعة في جمهورية اذربيجان السوفياتية ، مساحتها ٣٥٣٤٠ كيلو متراً مربعاً ، يقطنها ٥١،٥٠٠ شخص . العاصمة قرية لاتخين » .

هذه نماذج صغيرة وقليلة عن تضارب المعلومات التاريخية عن الاكراد ... وليأخذ القارىء فكرة اوضح عن تضارب هـذه المعلومات، نقول ان ثمة بين المؤرخين من يقدرون عدد الاكراد في الشرق الاوسط بخمسة ملايين نسمة ونيف، نصفهم في تركيا، ومليون في ايران ، ومليون في العراق ، فضلاً عن عدد كبير منهم مندمج في سوريا وفي اذربيجان السوفياتية !

غير ان الثابت على كل حال هو ان الاكراد ، ان لم يزيدوا على الخمسة ملايين ، فهم ليسوا اقـــل من هذا بكثير ... ومن

الجدير بالذكر ان هناك ٤٥٠٠٠٠ كردي يعيشون في الاتحاد السوفياتي ، بين ارمينيا وباكو وارينان ، ، وهناك محطـــات لاسلكيــة تذيـع باللغة الكردية . ويمثل الاكراد في البرلمان السوفياتي عضو واحد هو النائب «سامند علي فيتش سيباندوف».

ماذا يقول المؤرخون

يزعم بعض المؤرخين ان الاكراد من أصل آري... والواقع ان العلماء مروا في اعتقادات اخرى قبل التوصل الى الاعتقــاد الاخير . فسنة ٤٠٠ قبـــل الميلاد تحدث المؤرخ الاغريقي كزينوفون عن شعب يقطن منطقة الكردستان ويـــدعى « الكردوخيين » ثم قيل ان الكردوخيين هم اجداد الاكراد . ولكن جاء بعد ذلك من يقول ان الاكراد ينحدرون من اصل « سرتي » .. وكان العلماء يبنون نسبتهم الاكراد الى اصل ما ، على كون الاصل المنسوب له قد سكن في الماضي المنطقـــة التي يسكنها الاكراد اليوم ، او على تشابه في الاسم (ككردوخيين واكراد ...) او على تشابه في العــادات واللغة ... ثم ادعى بعضهم ان الاكراد هم انسباء الكلدان ، وبنى عــدد كبير من اصحاب هذه النظرية نظريتهم على ما قاله الرحالة ماركو بولو : « ان ثمة شعباً كردياً مسيحياً يقطن في جبال الموصل ... » .

وظـــل الاعتقاد الاخير ، الاعتقاد بالنسب بين الكرد والكلدان ، قائماً حتى ما قبل قرنين . اما اليوم فقد اثبت العلم

ان اللغة الكردية هي ايرانية الاصل ، ودحض علماء اللغة النظرية القائلة بان اللغة الكردية هي كلدانية الاصل ، واثبتوا علاقتها باللغة الفارسية الحديثة وباللغة الزندية وهي ام اللغة الفارسية .

وكانت النظرية الاخيرة القائلة بان اللغة الكردية هي من اصل فارسي ، المرتكز الاساسي الذي بنيت عليه النظرية القائلة ان الاكراد من اصل آري ...

وهذا الاعتقاد هو السائد اليوم .

وكون لغتهم لغة ايرانية ، حدا ببعض الكتاب الاكراد الى القول بانهم من اصل هندي اوروبي ، على اعتبار ان الايرانيين هم من اصل هندي اوروبي .

وبالاضافة الى هذا ، فثمة بين علماء الغرب من يقول ان اكراداً من اصل ايراني رحلوا في القرن السابع قبل الميلاد من جنوب بحيرة « اورمياه » نحو « بوهتان » واسسوا هناك في القرن الرابع قبل الميلاد امارة كردية تدعى « مهكرت ». كما ان هناك من يقول ان الاكراد ليسوا مزيجاً من قبائل عدة ، لا من قبائل ميدية ولا سيتية ، وانما هم شعب اصيل لا ينحدر من اصل ايراني انما هم انسباء الجيورجيين والارمن ، وليس نطقهم بالايرانية الا لانهم اعتمدوها بعد الاستغناء عن لغتهم الاصلية .

كردستان بين الامس واليوم

اذا ذكرت كردستان تبادرت الجبال فوراً الى الذهن . والواقع ان الاكراد يشعرون نحو الجبال بميل خاص . ولعل لما

عرف عنهم من عناد عنيف علاقة بتفضيلهم سكنى الجبال على السهول !

وعندما نقول ان ذكر كردستان يستتبع فوراً تخيّل الجبال ، فليس في ذلك اي مبالغة ... ففي جنوب ارارات تمتد سلسلة ضخمة من الجبال تتجه جنوباً على مسافة الفي كيلومتر ثم تتشعب وتميل نحو الجنوب الشرقي ، حتى الخليج الفارسي . وتقع جبال الاكراد بين ارارات وجبل جلاميرغ . اما شمالاً فيحد جبال الاكراد جبل ارمينيا ، ويحدها جنوباً هضبة اذربيجان ، فهضاب بلاد فارس . وجميع هذه الجبال هي اعلى من جبل الاكراد ، باستثناء هضبة اذربيجان . في هذا المناخ الجبلي نشأ الاكراد . اما اليوم فهم يعيشون على اراض شاسعة تبدأ قرب بغداد عند ضاحية « مندلي » وتمتد شمالاً على طول حدود العراق وايران ، ثم على حدود ايران وتركيا حتى جبل ارارات . وتشمل الاراضي الشاسعة هذه منطقة القوقاز السوفياتية اي مقاطعتي ارمينيا واذربيجان .

وجدير بالذكر ان كلمة كردستان اطلقها آخر ملوك السلجوقيين ، ويدعى سنجار ، على احدى مقاطعات مملكته في القرن الثاني عشر للميلاد . ويقال ان اول من ذكر كلمة كردستان بين المؤرخين هو القزويني الذي عاش في القرن الثامن للهجرة او الرابع عشر للميلاد .

وكانت كردستان تؤلف جزءاً من مختلف الامبراطوريات التي تعاقبت على الشرق منذ قديم الزمان ، وكانت من عام ٣٣١

الى عام ١٢٩ قبل الميلاد تؤلف جزءاً من امبراطورية السلوقيين ، ومن عام ٢٤٧ قبل الميلاد الى عام ٢٢١ بعد الميلاد كانت جزءاً من الامبراطورية البارثية (١) ، ومن عام ٢٢٦ الى عام ٦٣٦ بعد الميلاد كانت كردستان تؤلف جزءاً من امبراطورية الساسانيين الفارسيين .

لقد مرت كردستان بمراحل كثيرة من الارتباط والخضوع لامبراطوريات وغزاة وفاتحين . فقد خضعت الجهة الجنوبية الشرقية لكردستان المتوسطة الى السلالة المالكة الارمنية في « هيكان » ، ثم خضعت الى الاسكندر ذي القرنين ، ثم الى الارساسيين الارمن الخاضعين تارة للفرس وطوراً لروما ، ثم الى اردشير وشابور ملكي الفرس ، ثم الى الامبراطورية الرومانية ، وعادت من جديد الى الفرس ، ثم الى امبراطور بيزنطيا ، ثم الى الارساسيين الارمن الخاضعين للفرس ، ثم الى بيزنطيا مرة اخرى ، واخيراً للفاتحين العرب الاولين ، فالامراء الارمن الخاضعين للعرب ، وللسلالة المروانية الكردية المستقلة التي كانت اول سلالة كردية حاكمة حكمت من ٩٩٠ الى ١٠٩٦ فخلفتها ، كما ورد في كتاب نيكيتين ، السلالة الشهرمانية ، ثم تناوب عليها الفاتحون الشرقيون من سلجوقيين الى مغول ...

(١) البارثيون شعب آسيوي أنشأ شمال ايران مملكة عرفت باسم بونتوس ازدهرت من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعده . وكانت حضارتها تقوم على الرق . وقامت مملكة بونتوس على الساحل الجنوبي للبحر الاسود . وجعلها مترادتس السادس دولة عظمى هزمها القائد الروماني بومبي سنة ٦٣ ق . م

وقد قاوم الاكراد هولاغو خان في القرن الثالث عشر الذي كان شقيقه الخان المغولي قد ارسله سنة ١٢٥٢ لغزو غرب آسيا. وكانت مهمة هولاغو خان الاولى، على ما ذكر، القضاء على «اللصوص الاكراد». وقد قتل الاكراد عشرين الف مغولي امام قلعة اربيل. ومن بعد هولاغوخان، قاوم الاكراد تيمورلنك، وذلك حول سنة ١٤٠٠. وقبل المغول، قاوم الاكراد العرب ورفضوا الخضوع عندما احتل العرب اراضيهم من القرن السابع الى القرن التاسع.

ثم اعتنق الاكراد الاسلام. واصبحت كردستان جزءاً من ممالك الخلافة الاسلامية من عام ٦٣٦ الى عام ١٢٥٨. وبعد غزوة هولاغو خضعت للمغول والتركمان من ١٢٥٨ الى ١٥٠٩، ومنذ عام ١٥١٤، وهو بدء تاريخ الغزوات العثمانية، ارتبطت مصائر كردستان بتركيا.

وفي القرن السادس عشر خضعت كردستان للتقسيم، فتقاسمتها السلطنة العثمانية والامبراطورية الصفوية الفارسية، فنالت الاولى ثلاثة ارباعها بينما نالت الاخرى الربع. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى خاضتها القبائل الكردية منذ اللحظة الاولى ـ مع انه لم يكن لها مصلحة في الحرب ـ واشتركت في القتال على الجبهتين القوقاسية والعراقية واصيبت بخسائر جسيمة. وبعدما وضعت الحرب الاولى اوزارها انشأ الانكليز دولة العراق، بموجب اتفاق سايكس ـ بيكو المعروف فكانت حدود الدولة الجديدة تضم ثلاث ولايات عثمانية، هي ولايات البصرة وبغداد

والموصل . وبضم الموصل الى العراق، انتقل جزء من كردستان الى العراق ، وهو اقل من ربعها بقليل ، وبقي اكثر من النصف في تركيا ، والبقية في ايران .

وجدير بالملاحظة ان الحدود الجغرافية المشار اليها هي جديدة بالنسبة لكردستان ، وللعرب ايضاً . اذ قبل ١٩١٨ كان العرب والاكراد يعيشون في مجتمع واحد مشترك تجمعهم فيه الاخوة الاسلامية دون النظر الى اعتبار قومي ما .

بعد ذلك ، وفي مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس ، تم الاعتراف بالاستقلال الذاتي الكردي . غير ان معاهدة لوزان (سنة ١٩٣٣) لم تذكر شيئاً عن كردستان . وعلى اثر ذلك ثار الاكراد ضد الحكومة التركية . ولكن الاتراك قمعوا الثورة وشنقوا ٤٨ زعيماً. وقامت ثورة اخرى سنة ١٩٣٠ ولكنها فشلت.

واليوم يبدو ان الاكراد عادوا من جديد الى المطالبة بالاستقلال ، ولكنهم يطلقون النداء من العراق هذه المرة ...

شخصية الكردي

المعروف عن رجال القبائل الاكراد انهم سلالة شعب متكبر مستقل رفض منذ فجر التاريخ الخضوع مدة طويلة لاي فاتح او اي دولة . غير ان الكردي يتصف بمزايا وخصال وطباع عديدة اخرى .

يجب القول باديء بدء ان حياة الكردي لا تنفصل عن حياة ارضه . فهو بالارض يعيش ، اي بالزراعة . وبين الطبيعة

والكردي صلات عميقة لا تنقطع . فهي التي تمده بقوت مواشيه . ومواشيه هذه تشكل ثروته الاولى . ولكن اثر الطبيعة في الكردي لا يتوقف عند ارتباطه بها هـذا الارتباط الودي . فالكردي الذي يعيش من مواشيه كعربي الصحراء قديماً الذي كان يهيم مع جماله في البوادي كلاهما يخضع لتأثيرات تكاد تكون واحدة . فحياة البداوة هي نقيض الاستقرار ، وهي بالاضافة الى ذلك تولد في الانسان نزعة استقلالية ، بقدر ما تعوده المغامرة وتنمي فيه روح الاقدام والشجاعة. من هنا ان الكردي نزوع الى الاستقلال ، محب للقتال ، غير هياب للمخاطر . واذا كانت حياته مع الطبيعة سلسلة من انتصاره عليها وانتصارها عليها ، فذلك مما ايقظ فيه روح المواظبة على النضال، اي العناد. والعنيد يثابر. ومن يثابر لا يرحم ، ولا ينسى بسهولة . ومن هنا ان الكردي لا ينام على الضيم ، لا ضيم الطبيعة وحسب ، وانما ضيم الانسان كذلك. فهو من صفاته الثأر !

غير ان الاكراد ليسوا كلهم من البدو والرعاة ومربي الماشية. فقد قام الدكتور هلموت كريستوف بدراسة عن طبائع الاكراد بيّن فيها ان هنـاك نماذج عدة للاكراد ، منها الاكراد رعـاة المواشي الذين ألمحنا الى طباعهم آنفاً ، والاكراد المحـاربون ، والاكراد انصاف الرحّل. اما المحاربون فهم الذين تتشكل منهم معظم المدن الكردية . والمحاربون هؤلاء يعيشون على الحدود ، ويعتمدون في تأمين حيـاتهم ، كما يقول كريستوف ، على القتال والسلب والنهب . اما انصاف الرحل من الاكراد فليس لهم

المميزات الكردية الاصلية ، انما هم ميالون الى اللامبالاة .

يبقى ان ثمة من الاكراد فئة حضرية ، وهي تلك التي اندمج افرادها بحياة المدن ، يعملون فيها اغلب الاحيان عمالاً بسيطين .

وعلى وجه العموم ، فان الاكراد يمتازون بالعناد ، والاستقامة ، والوفاء ، والعطف على الاهل ، والتضحية من اجل القبيلة ، والفخر برئيسهم وبلادهم . والكردي سريع الحماسة كما هو سريع الغضب . واستقامته لا تمنعه من استعمال الحيلة بل التحايل . ووفاؤه بالعهد لا يمنعه ، كما يقول الرحالة الفرنسي « سوان » ، ان يعاملك ، اذا صادفك في الغد ، معاملة قاسية اذا لزم الامر ! معنى ذلك ان شخصية الكردي لا تخلو من المفارقات والمتناقضات التي تكون في منتهى الغرابة احياناً كثيرة.

والكردي – وهذا قد يدهش الكثيرين – مشهور باحترامه الفائق للنساء ! فالكردي لا يعدد زوجاته الا نادراً ، ولا يقيم حريماً ، ولا يضيق على زوجته ، ولا يحتقرها ، وانما يراها تتصف بالمؤهلات ذاتها التي يتصف هو بها . والمرأة الكردية هي التي تستقبل الزوار في غياب زوجها وتضيفهم ، وتتحدث اليهم ، ولا تستر وجهها . وتتولى كذلك ادارة المنزل والخدم ، وعند الاكل تعطي هي الاشارة بالمباشرة ! وتلعب المرأة الكردية دوراً اساسياً في تربية الاولاد وتنشئتهم ، مما يدل على المكانة التي تحتلها في مجتمعها . ومما يزيد في الدهشة ايضاً ، ان الزواج عند القبائل الكردية لا يتم بواسطة الاهل ، وانما نتيجة حب متبادل، اذ يتاح للعروسين ان يتعارفا جيداً وهما مخطوبان . الكردى ،

الى كونه مقاتلًا ، لا يهمل الحب ، فهو غالبــاً ما يغني الاغنيات الغراميــة ويتغزل ... والمرأة لا تقف فقط وراء معظم الشعر الوجداني الكردي ، وانما لها هي الاخرى نصيب وافر من هذا الشعر .

ومن ميزات الكردي انه ، الى جانب وفائه لزوجتـــه ، ورئيس قبيلته ، يحب ابنه البكر محبة خاصة، ويعتبر الابن البكر خير رهينة يتبادلها الاكراد عند المفاوضات. والاحترام في الاسرة الكردية يجري بالتسلسل . فالاب هو سيد الاسرة ، وبعـــده يأتي الابن البكر، وبعد الابن البكر ، الابن الاصغر، وهكذا.

بين القبيلة والدين

الاكراد مسلمون ، ولكن الروح القبلي متغلغل فيهم . انهم لا يعيشون فقط حياة قبليـــة بكل عاداتهم وتقاليدهم ، وانما هم ايضاً يفكرون قبلياً .

تنقسم حياة الكردي الروحيــة ثلاثة اقسام بارزة : الاسلام، اليزيدية ، وطائفة اهل الحق .

اما الاسلام فقد اسهم الى حد كبير في تطوير المجتمع الكردي وتاريخ الاكراد . وقام الاكراد بدور كبير في العهــــود الاسلامية، وبخاصة بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر للميلاد، وقدموا للاسلام خدمات عظمى ، وان الشخصيات البـارزة من الاكراد التي وهبت الاسلام نفسها وساعدها لكثيرة ، ويكفي ان نذكر في هذا الصدد صلاح الدين الايوبي ...

غير ان الكردي المسلم لا يدع دينه يطغى على ذاتيته المميزة. ولا غرابة ، فهو هكذا في كل شيء. فالكردي كردي ولو صعد الى المريخ ! اي انه يغلب ذاتيته على كل مـــا عداها ، يخلص للقبيلة اولاً ، وبعد ذلك يحسب حساب الامور الاخرى .

والاكراد يعرفون التصوف ، وهو مـا يسمى بالتصوف الدرويشي . وحتى التصوف فقد طبعه الاكراد بالطابـع القبلي . واهم جمعيات الدراويش الكردية جمعية نقشبندي وجمعية قادري. والمشايخ هم رؤساء جمعيات الدراويش .

وننتقل الى اليزيدية ...

واليزيديون طائفة تقيم في شمال غرب العراق ، وبالتحديد ، في قضاء شيخان ـ منطقة الموصل ـ على جبـــل السنجار ١٦٠ كيلومتراً غربي الموصل. ومنهم عدد في منطقة دياربكر وحلب ، وفي ارمينيا السوفياتية قرب تفليس . وعددهم الاجمالي ، حسبما يقول نيكيتين ، لا يتعدى الستمئة او السبعمئة الف شخص .

وقبـــل ان يعتنق الاكراد الاسلام ، كان معظمهم من اليزيديين . واليزيديون يدارون الشيطان ولا يتلفظون باسمه ، ويمتنعون عن التنحنح والبصق واكل الخس والقرع والسمـك والديـك والغزال . يسجدون للشمس كل صباح ويضحون لها بثور ابيض ويقبلون اعلى حجر تسقط عليـــه اشعة الشمس عند طلوعها . اما كتبهم فمصحف رش ومصحف الخـلوة ... ولقب اليزيديون بـ «مطفئي القناديل » و «عباد الشيطان» ... وفي مطلع كل سنة عندهم (يصادف رأس السنة اليزيدية اول اربعـاء من

ساندين الشرقي) يزورون مقـام الشيخ عدي « صديق الله » .
والشيخ عدي ابن مسافر ولد في سوريا بين السنة ١٠٧٣ والسنة ١٠٧٨ ، ومن اهم ما جاء في كتاب عدي ان الله هو الذي خلق الشيطان ، والذي يخلق الشيطان كائن غير مقتدر ، اذن لا يمكن ان يكون الله .. ومن عادة اليزيديين انهم يعمـدون الذكور ويختنونهم ويتزوجون باكثر من امرأة . اما لغتهم فمزيج من العربية والفارسية . ويُعتقد ان كلمة يزيدية مشتقة من مدينة يزد الايرانية او من يزيد بن معاوية الذي ينحـدر منه الشيخ عدي بن مسافر الدمشقي الاموي .

تبقى طائفة اهل الحق .. وهذه الطائفة ليست محض كردية ، ولكن كثيراً من الاكراد ينتمون اليها .

وجماعة اهل الحق يؤلهون الامام علي بن ابي طـــالب ، ويؤمنون بالتقمص ، ويسمون جماعة « علي الهي » . والاكراد المنتمون الى « اهل الحق » هم قبائل فيشي من جمـاعة الكلهور التي تعيش منذ اجيال على الضفة الجنوبية من كردستان الفارسية على حدود كرمنشاه والسنجابي ونواة جماعة غوران . واهل الحق ينتشون بالله ، مثل الدراويش ، ويحفظون ايام الاعياد والصوم .

هذه هي ، بايجاز ، ابرز التيارات الروحيـة عند الاكراد . ولكن مما ينبغي ذكره في هذا المجال ان الكردي ، كما سبق ان اسلفنا ، لا يمكن ان يذوب في معتقده الديني بحيث يُذيب فيه ايضاً شخصيته الكردية . وليس هذا وحسب ، بـل ، يمكن القول ، استناداً الى ما كتب في هذا الشأن واستناداً الى شهادات

الذين عايشوا الاكراد وعرفوهم عن قرب ، ان سلطة رئيس القبيلة على الافراد هي السلطة المطلقـــة ، وذلك على الرغم من جميع ما يفرضه رئيس القبيلة على مرؤوسيه من ضرائب والتزامات ، وعلى الرغم مما لحق بهذه السلطـة ، في الايام الاخيرة وبعد انهيار النفوذ الاقطاعي ، من نكسة وضعف .

ان الجميع يدينون بالولاء لزعيم القبيلة . والكردي يلبي رغبة زعيمه ليس فقط قياماً بواجب ، وانما ، في احيـان كثيرة ، عن ايمان راسخ واندفاع عنيف .

شخصيات كردية

من الشخصيات الكردية التي لعبت دوراً خطيراً في الحركات الثورية الكردية ، نذكر : عبد الرحمن باشا الذي ثار على الاتراك عام ١٨٥٦ فقمعوا ثورته ـ بدر الدين خان بك (١٨٤٣ - ١٨٤٦) ثار ، وبسط نفوذه من الموصل حتى دياربكر واورميه وسوج بولاك ، نفي الى جزيرة كريت ومات في دمشق ـ يزدان شر (١٨٥٣ ـ ١٨٥٥) ثار على الاتراك واحتل يزدان شر تبليس والموصل والمنطقة الممتدة من خان الى بغداد . ذهب ضحية خدعة وقتله الاتراك في القسطنطينية ـ الشيخ عبيد الله من نهري ، ثار عام ١٨٣٠ بغية تحقيق استقـــلال كردستان ، وأخمد ثورته الجيش التركي ـ الايراني .

ومن المفيد القول هنا ان القائد الشهير صلاح الدين الايوبي ،

الذي جهزت حملة صليبية ضده فتغلب عليها وحرر بيت المقدس ، كان كردياً .

واحمد شوقي ، امير الشعراء ، كان كردياً .

وخـــالد بكداش ، السوري ، وزعيم الشيوعيين في الشرق الاوسط كله ، كردي .

اما زعيم الاكراد الابرز اليوم، فهو الملاّ مصطفى البرازاني، قائد ثورة ١٩٤٦ الفاشلة ، الذي نفي الى موسكو فظل فيها ١٢ سنة ، ولم يعد الى بغداد الا في ظل العهد الجديـد ، اي في ظل حكومة الثورة .

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفصل الثاني

فكرة الدولة الكردية

هناك شعب كردي ، وعادات وتقاليد وحتى فولكلور كردي ، ولكن ليس هناك دولة كردية . وانتفاء هذه الدولة هو الذي خلق مشكلة المطالبة بها . ولكن مما يجب قوله هو انه اذا كانت فئة من الاكراد تطالب بالاستقلال وتعمل له تارة بالنداءات والمساعي وطوراً بالثورات والفتن الدامية فان ثمة فئة كردية اخرى لا تجد ضيراً في البقاء مندمجة حيث هي ، متآخية مع شعب البلد الذي تعيش فيه . ولا يمكن في حال من الاحوال الزعم ان معايشة الاكراد لشعب ما عن رضى ومشاركة انما هو حالة استثنائية لا عبرة فيها، لا يمكن اطلاق هذا الزعم لأن تاريخ العرب والاكراد يحمل لنا اكثر من دليل واضح على تعايش الشعبين ، بل على تكاتفهما ازاء الخطر ـ الذي غالباً ما لا يكون خطراً مشتركاً بمعنى انه قد يكون خطراً على العرب ولا يكون على الاكراد ، ومع هذا نرى هؤلاء يخوضون المعركة الى جانب

العرب ويساندونهم بلا منة ولا تردد. الا نذكر ان صلاح الدين، محرر بيت المقدس ، كان كردياً ؟ بل ان الجحافل الكردية كانت العصب الاقوى في معارك العرب ضد الغزاة الصليبيين ؟ ومنذ قيام الحدود الجغرافية الجديدة بعد معاهدة سايكس ـ بيكو السرية ، والعربي والكردي يعيشان في العراق عيشاً اخوياً مشتركاً ـ على الرغم من تصرفات الساسة العراقيين في العهد الملكي وعلى الرغم من سياسة حكومة نوري السعيد التي لم تكن في كثير من الاحيان في صالح هذا العنصر . ثم اننا رأينا عدداً كبيراً من الشخصيات الكردية تعمل باخلاص في سبيل تحقيق الوحدة العربية ، كما كان كثيرون من الزعماء العرب في العهد الماضي يحرصون على مصلحة الاكراد حرصهم على المصلحة العربية .

ولكن ، قبل ان نسترسل في هذا البحث ، نود ان نرجع قليلاً الى الوراء ، الى حين بدأ الاكراد نشاطهم في سبيل انشاء دولة كردستان .

حركات تمهيدية

قلنا في مستهل هذا الفصل انه اذا كانت في الاكراد فئة كبيرة تطالب بانشاء دولة كردستان وبالاستقلال بهذه الدولة ، فان ثمة فئة اخرى لا ترى ضيراً في البقاء مندمجة بشعب البلد الذي تعيش فيه ، تمشياً مع سنة الطبيعة القائلة بوجوب ذوبان الاقلية في الاكثرية ... غير اننا ، في بحثنا تاريخ فكرة

انشاء الدولة الكردية ، سنقتصر على بحث تطورات هذه الفكرة من الناحية التاريخية وحسب ، على ان نعود ، في الفصل الثاني ، الى النواحي السياسية والانسانية و « الحقوقية » اذا جاز التعبير . أما من الناحية التاريخية فقد آثرنا ان نبدأ ، لتسجيل المساعي لخلق دولة كردستان ، من فترة التاريخ الحديث .

حدثت في بداية القرن التاسع عشر فتن وثورات عديدة قام بها زعماء اكراد لغايات وتحت تأثيرات مختلفة ، تتراوح بين تعبير عن سخط وتنفيس عن ظلم وعصيان حباً بالعصيان وتنفيذ لدسيسة او اشتراك بحرب او بثورة . ومن العام ١٨٠٦ حتى الحرب الكونية الاولى لم تعرف الحركات الثورية الكردية التنظيم ولا المرمى الواضح . فقد شهدت الفترة الممتدة من العام ١٨٠٦ حتى الحرب الاولى انتفاضات عديدة ابرزها ، من ناحية المطالبة بالاستقلال ، انتفاضة الشيخ عبيد الله من نهرى التي حدثت سنة ١٨٠٣ . ويصف باسيل نيكيتين هذه الثورة في كتابه « الاكراد » .

فيقول : « كانت هذه الثورة التي وقعت قبيل ثورة الشباب الاتراك ، تستهدف استقلال كردستان . وقد أضرمت نيرانها على الحدود الفارسية في جوار شمدنان حيث هددت طوريس لفترة وجيزة من الزمن . واضطر الاكراد اخيراً الى التراجع عن القتال ، وعلى اثر احتجاجات العجم ، وبفضل التدخل العسكري التركي ــ الفارسي تمكن الفرس والاتراك من ايقاف نشاط الشيخ الثائر . ثم بعد ان قادوه الى القسطنطينية ، ارسلوه الى مكة . وبعد الثورة التركية ، عاد ابنه البكر الشيخ عبد القادر من

مكه لكي يصبح في ما بعد عضواً في مجلس الشيوخ التركي » .

وقامت حركات اخرى كان معظمها تعبيراً عـــن استياء على الايرانيين او الاتراك ولم تستهدف انشاء دولة كردستان . وقد اتينا بايجاز على ذكر بعض هـــذه الانتفاضات وزعمائها في نهاية الفصل الاول .

ولم تكن الفتن والثورات الاداة الوحيدة التي توسلها الاكراد المطالبة بدولتهم . فسنة ١٩٠٨ تأسست المنظمة الكردية السياسية الاولى في القسطنطينية واصدرت جريدة « لسان حال ثنائي ــ كردو ــ ترك » وفي العـــام نفسه صدرت جريدة اخرى هي « الشمس الكردية » الا ان اصحاب الجريدتين ما لبثا ان خاضا مهاترات وناصبا بعضهما بعضاً العداء . وعام ١٩١٠ تأسست جمعية « الرجل الكردي » وكان مؤسسو الجمعية والمجلة من الطلاب ورجال القانون .

الا ان اندلاع الحرب استتبع ، كالمعتاد ، ايقاف كل نشاط جزئي ليتم على حسابه جمع القوى وصهرها في عملية مواجهة الخطر المشترك. وهكذا توقف نشاط الاكراد العلني ريثما تسفر الحرب عن نتيجة .

الحرب الاولى والاكراد

عندما نشبت الحرب العظمى لم تكن للقبائل الكردية مصلحة فيها . اذ لم يكن للاكراد دولة خاصة بهم يدافعون عنها ، ولا مصالح قوميـــة تحتم عليهم الدخول طرفاً في النزاع . ولكن

القبائل الكردية منذ البداية اشتركت بالقتال على الجبهتين القوقاسية والعراقية واصيبت بخسائر فادحة .

وانتهت الحرب ...

واخذت كل دولة اشتركت مع الحلفاء بالحرب تنتظر المكافأة . وكانت البلاد العربية في طليعة البلاد الموعودة. وكانت مطالب العرب السياسية آنذاك مرتكزة على وعود الانكليز كما وردت في الرسائل العشر المتبادلة بين هنري مكماهون ، المندوب السامي البريطاني في القاهرة ابان الحرب ، والشريف حسين ، شريف مكه . وقد اوضح الحسين في رسائله مطالب العرب لانشاء دولة عربية مستقلة ممتدة من البحر المتوسط حتى حدود ايران ، ومن المحيط الهندي حتى الحدود التركية الممتدة على خط العرض ٣٧ . اما مكماهون فقد تضمنت رسائله وعد بريطانيا بمساعدة الحسين والعرب على تحقيق مطالبهم هذه، مستثنية منها المنطقة الساحلية السورية الواقعة غرب خط يمتد من مدينة حلب ماراً جنوباً بحماه وحمص ودمشق وكذلك منطقتي مرسين والاسكندرون اللتين كان للفرنسيين فيهما مطامع خاصة ...
والى جانب رسائل الحسين ــ مكمهاهون، كان العرب يرتكزون في مطالبهم على الوعد الذي قطعه لهم الفرنسيون والانكليز معاً والقائل « ان مصالحهم الخاصة في المنطقة لا تتعدى هدف استعمالهم لنفوذهم وقوتهم من اجل مساعدة الحكومات التي قد تنشأ هناك (في منطقة الشرق الاوسط) باختيار الشعوب المحلية » (وردت هذه الفقرة في كتاب ج. هورويتز « الديبلوماسية في الشرق

الاوسط »)

بيد ان هذه التصاريح والوعود التي اعتمدها العرب اساساً لمفاوضاتهم السياسية الدبلوماسية لم تكن كافية لازالة المخاوف العربية الوطنية التي كانت قد نتجت من جراء فضح امر معاهدة سايكس بيكو الاستعمارية (تمت عام ١٩١٦ وتتلخص باتفاق سري بين روسيا وبريطانيا وفرنسا على تقسيم اجزاء الامبراطورية العثمانية فيما بينها حال انتهاء الحرب وانتصار القوات الحليفة) ووعد بلفور المشؤوم . وبالفعل ، وعلى الرغم من الجهد الذي بذله الامير فيصل في باريس امام المؤتمرين كممثل رسمي لوالده الحسين وكممثل غير رسمي لجميع العرب ، نكث الحلفاء بوعودهم ولم يتمكن ممثلو العرب من صد اطماع الفرنسيين والانكليز الاستعمارية ...

اردنا من هذه الكلمة عن وضع السياسة العربية بعد الحرب العظمى مباشرة ، وصف الجو الذي كان سائداً في المنطقة . اذ لم ينقض على مؤتمر باريس سنة واحدة حتى ابرمت معاهدة « سيفر » في العاشر من آب سنة ١٩٢٠ . وفي هذه المعاهدة بحثت للمرة الاولى في التاريخ قضية الاستقلال المحلي للمناطق التركية الفارسية التي يقطنها الاكراد . غير ان هذه المعاهدة لم يكتب لها النمو فظلت حبراً على ورق . وفي الرابع والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٢٣ تمت معاهدة لوزان التي حلت محل معاهدة سيفر .

ومعروف ان معاهدة لوزان وقعت بين تركيا والحلفاء لانهاء الحرب ، والبحث في نظام المضائق والبلدان التي كانت

تابعة للامبراطورية العثمانية . وانتظر الاكراد من المؤتمرين عملاً حاسماً لمصلحتهم .

سيفر ولوزان

لم يجد الحلفاء بداً ، لفرض شروط الصلح التي كان الاتراك بدأوا يقاومونها ، من سحق المقاومة الكمالية . وتطوعت اليونان للقيام بهـذه المهمة . وفي ٢٠ حزيران ١٩٢٠ جردت اليونان جيشاً بقيادة الجنرال باراسكيفو بولوس لفتح تراقية والاناضول . فـانسحبت القوات التركية في اسكي شهير ، وسقطت فرق كيليس واندرينوبل في ايـدي اليونانيين في ٢٥ تموز . وشعر السلطان بحرج الموقف فاراد انقاذ ما بقي من السلطنة ، فوقع في العاشر من آب ١٩٢٠ معاهدة سيفر التي وصفها مصطفى كمال بانها حكم بالاعدام على تركيا .

وقضت معاهدة سيفر ببقاء السلطان ، شرط ان توضـع المضايق التركية تحت مراقبة لجنة دوليـة وان يمنح الاكراد استقلالاً ذاتياً وتصبح ارمينيا دولة مستقلة . وقضت الى جانب ذلك بامور عديدة منها سلخ سوريا والجزيرة العربيـة والعراق مع ولاية الموصل عن تركيا ، واقرار حماية الانكليز على مصر وضم جزيرة قبرص الى الامبراطورية البريطانية ...

غير ان هذه المعاهدة، كما سبق ان ذكرنا، لم تكن اكثر من حبر على ورق . ولم تكن لتطبق على غير حكومـة السلطان ، وهي حكومة لم يبق لها من السلطان سوى الاسم .

وجاء مصطفى كمال الى الحكم . وفوراً عني بابطال « حكم الاعدام » على تركيا ، ومن ٢٠ تشرين الثاني الى ٤ شباط ١٩٢٣ عقد مؤتمر الصلح الجديد في لوزان ، ثم ظل ثلاثة اشهر منعقداً في دورته الثانية ابتداء من ٢٣ نيسان . ونوقشت في المؤتمر قضية المضايق التي نشب في صددها صراع حاد بين الانكليز والسوفيات. وقبلت الدول الكبرى بالغاء الامتيازات المعروفة بـ« الاستسلامات » الغاءً تاماً شاملًا . ونصت المادة الثامنة والثلاثون على وجوب معاملة « جميع سكان تركيا بالمساواة وبدون تفريق بين العناصر والاديان » .

وانتظر الاكراد ... وارفض المؤتمرون دون ان يذكروا شيئاً عن كردستان !

وماذا نجم عن ذلك ؟

ثار الاكراد ثورات عدة ، منها ثورتهم في ٢٣ شباط سنة ١٩٢٥ ... وكان قائد الثورة الشيخ سعيد من شيوخ الطريقة النقشبندية . واستولى الثوار على العزيز وخربوط ، ووصلوا الى ابواب دياربكر واحتلوها في الخامس من اذار . ولكن القوات التركية طردتهم في ليل ٧ ـ ٨ اذار ، وبدأت اعمال القمع في السابع والعشرين . وفي الحادي والثلاثين من الشهر ذاته اعلن مصطفى كمال ان الثورة اخمدت الى الابد . وفي ليل ٢٨ ـ ٢٩ حزيران علق الشيخ سعيد وستة واربعون من رفاقه على اعواد المشانق .

ويذهب المؤرخون والمعلقون السياسيون في تفسير الدافع

الى ثورة الشيخ سعيد مذاهب شتى . يقول باسيل دقاق في كتابه « تركيا بين جبارين » الذي صدر عام ١٩٤٧ في معرض كلامه على ثورة الشيخ سعيد : « لقد نشبت يومذاك (في عهد مصطفى كمال) حركات ثورية عديدة احتجاجاً على ما احدثه اتاتورك من انقلاب » ، « ويريد من ذلك القول ان ثورة الشيخ سعيد لم تكن بدافع استياء واحتجاج على اهمال قضية كردستان في معاهدة لوزان وانما كانت مسألة محض داخلية وتعبيراً عن استياء الاكراد من الاصلاحات الثورية التي قام بها اتاتورك في بلاده .

اما باسيل نيكيتين ، قنصل روسيا السابق في ايران ، فيقول في كتابه « الاكراد » : « على الرغم من ان معاهدة لوزان اتت ناقصة وغير عادلة بالنسبة لاكراد تركيا ، فقد لعبت دوراً خطيراً لا سيا بقضية الموصل التي اضطرت عصبة هيئة الامم لوضعها على بساط البحث ، واوفدت اذاك لجنة تحقيق دولية الى تلك المنطقة الكردية . ثم وضعت اللجنة حدوداً موقتة في تشرين الاول سنة ١٩٢٥ دعتها « خط بروكسل » وقد نص التقرير المرفوع من لجنة التحقيق الدولية في كانون الثاني ١٩٢٥ الى هيئة عصبة الامم على وجوب وضع هذه المنطقة تحت الوصاية الدولية لمدة ٢٥ سنة . ونص كذلك على ضرورة تسليم الشؤون الادارية والعدلية والتربية الى العناصر الكردية مع اعتبار اللغة الكردية لغة رسمية .

« الا ان الثورة الكردية التي قام بها الشيخ سعيد في شباط — نيسان ١٩٢٥ في اثناء دراسة التقرير ، ما كانت الا دعامة للعرض

البريطاني في جعل ولاية الموصل ولاية عراقية. وفي الوقت نفسه، كانت هذه الثورة طريقاً الى التعبير عن شعور الاكراد بانهم يقدرون ان يكونوا مواطنين صالحين مع العرب حيث كانوا، كما كانت هذه الثورة بمثابة تكذيب لتصريح الوفد التركي في لوزان بان الاقليات الاسلامية كانت مرتاحة الى مصيرها تحت الحكم التركي ... »

ومهما يكن، فقد كانت ثورة الشيخ سعيد فاتحة لسلسلة ثورات كردية اخرى ابتدأت عام ١٩٣٠ .

قلنا آنفاً ان المطالبة بالاستقلال لم تقتصر على الحركات الدامية والمؤامرات، وان الاكراد حاولوا الالتفاف حول جمعيات وصحف ومجلات تنطق باسمهم . وقلنا ان اندلاع الحرب العظمى حتم وقف نشاط هذه الجمعيات والصحف والمجلات . ولكن في عام ١٩٢٧ عقد مؤتمر نجم عنه تأسيس لجنة وطنية كردية مهمتها العمل الحثيث على تحرير كردستان في الاراضي الكردية، واطلق على الجمعية اسم « خويبون » . وضمت جمعية « خويبون » جميع الجمعيات الاخرى من «منظمة الحزب الوطني الكردي» و «جمعية الاهداف الاجتماعية » وسواهما من الجمعيات التي كان مصطفى كمال قد حلها، وعهد بتنظيم حملة المطالبة بتحرير كردستان التركي الى ضابط قديم يدعى احسان نوري باشا الذي سرعان ما اتخذ جبل ارارات نقطة ارتكاز لخطته . ومن هناك انطلقت الشرارة الاولى ... غير ان النتيجة لم تكن لمصلحة الاكراد في شيء، اذ لم ينجم عن هذه الثورة سوى تقارب تركي ايراني عقبه على الفور توقيع اتفاق تعديل الحدود في ارارات في ٢٣ كانون الثاني من

العام ١٩٣٢ .

ومن السنة ١٩٣٠ حتى ١٩٣٤ توالت الحركات العصيانية وكانت السلطات التركية تقمعها جميعاً .

وسنة ١٩٣٥ ، بينما كانت تركيا تعقد اتفاقاتها التجارية مع اليابان ، وتشتري جميع الخطوط الحديدية في تركيا الاسيوية ، وتوقع مع الحكومة السوفياتية بروتوكولا مدد المواثيق المعقودة بين الدولتين في ١٩٢٥ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣١ عشر سنوات ، وقعت مؤامرة اسبارتا التي اشترك بها الشيخ بديع الزمان الكردي ثم العصيان والاستنكاف عن دفع الضرائب في منطقة موش التركية . ولم يلبث ان صدر مرسوم نفي الاكراد على خمسة في المئة من كل قرية .

وعام ١٩٣٧ ، وهو العام الذي تم خلاله التوقيع على ميثاق سعداباد الذي جمع تركيا وايران والعراق والافغان في حلف قوي وتعهدت فيه كل من الدول الاربع بمنع تشكيل عصابات مسلحة تهدد احدى الدول الموقعة على الميثاق ، في هذا العام نشبت ثورة « درسيم — تنسجلي » فلم يتردد الاتراك في قمعها بشدة وعنف وقساوة .

لا شك بان القارىء لاحظ توكيدنا على الثورات التي قام بها الاكراد في تركيا دون ان نتطرق الى ثوراتهم في باقي الدول التي يعيشون فيها . والواقع ان وضع تركيا بعد الحرب العظمى جعلها قبلة العالمين الغربي والشرقي ، وكان كلَ ما يجري فيها حساساً يهتز له سائر العالم . وقد قصر الاكراد ثوراتهم بعد الحرب العظمى

على الاراضي التركية ، الا ان ذلك لا يعني انهم كانوا مسالمين في ايران ، مثلاً ، حيث قاموا بعـدد من الثورات في القرن التاسع عشر . وعلى سبيل المثال ، نذكر ، على لسان باسيل نيكيتين ، ايضاً ، ان الاكراد ثاروا عــام ١٨٢٥ «وذبحوا فصيلة فارسية وافنوها عن بكرة ابيها . »

وكان الشاه لا يقل عنفاً في مقاومة حركات القبائل الكردية عن الحكومة التركيـة ، وكان الاكراد المنفيون من ايران يلجأون في معظمهم الى روسيا وتركيا وسوريا والعراق . أما في روسيا فكانوا يستقبلون بالترحاب ، على اعتبــار ان السياسة السوفياتية من شأنها دائماً ان تؤيد الناقمين وتشجعهم وتوغر صدورهم ضد حكومتهم ، خاصة اذا كانت هذه الحكومة حكومة ايران حيث للاتحاد السوفياتي مطامع معروفة ... اما في تركيا فلم يكن تأثير الاكراد اللاجئين اليها بكبير ، ولا كان الاكراد الشيوعيون اللاجئون من ايران الى تركيا ليستطيعوا ان يفعلوا شيئاً يذكر ، فتركيا كانت في حصن حصين ، داخلياً ، في وجه الدعوات الشيوعية ، والشعب التركي نفسه لم يستطع مرة ان يهضم الفكرة الشيوعية، خاصة وان للاتراك مع الاتحاد السوفياتي ذكريات مؤلمـة ، فمطامع الروس بتركيـا ، قياصرة كانوا ام سوفياتيين ، لم تكن يوماً بأقل شأناً من مطامعهم بايران .

غير ان تسلل الاكراد الناقمين والشيوعيين اللاجئين من ايران الى سوريا والعراق لم يكن خلواً من التأثير شأنه في تركيا ، مثلاً ، ففي تركيا كانت النهضة القومية تقف حائــلاً دون تأثير

الشيوعيـــة ، بينما كانت سوريا وكان العراق لا يزالان تحت الانتداب كما كانت سلطات الانتداب تفرض على العرب التحالف مع الشيوعيين . وكان العرب من جهتهم لا يرون عسراً في ذلك. ولو موقتاً ... اذ ان همهم الوحيد كان يومذاك ان يتخلصوا من سيطرة بريطانيا وفرنساولا بأس ان تغاضوا عن حركات لا تمسهم من قريب . ولكي نعطي مثلاً على تحالف الشيوعيين قبل الحرب الثانية في البلاد العربية مع سلطات الانتداب نورد في مـــا يأتي مقطعاً من مقدمة كتبها خـــالد بكداش ، الكردي السوري وزعيم الشيوعيين في الشرق الاوسط كله ، لكتاب ، « طريق الاستقلال » : « هل يكفينا لحماية كياننا الوطني الناشىء ان تتحالف بلادنا مع الدول العربيـة الاخرى كالعراق ، واليمن والمملكة السعودية الخ .. وهي على ما هي من الضعف وتتقاذفها عدا ذلك مناورات ومؤامرات الدوائر الاستعمارية المختلفة، كلا! لا يكفي . بل ان مصلحتنا تقضي علينا بأن نوطد عرى التحالف مع احدى الدول الديمقراطية الكبرى ، وهذه الدولة لا يمكن ان تكون بالنسبة لنا نحن السوريين واللبنانيين الا فرنسا الديمقراطية!

« لذلك يضع الشيوعيون في سوريا ولبنان، وجميع الوطنيين الواعين مسألة التحالف السوري اللبناني الفرنسي في مقدمة المطالب الوطنية التي تناضل بلادنا في سبيلها » !

والى جانب هذه « الصداقة » التي كانت تربط الشيوعيين بفرنسا « الديمقراطية » ، كان الفرنسيون يوعزون الى المسؤولين في لبنان وسوريا ، قبيل الحرب الثانيـة ، ليس فقط بغض النظر

عن نشاط الشيوعيين ومنشوراتهم واجتماعاتهم بل كذلك بتشجيعهم والاتكال عليهم في مجالات عدة . وواضح ان غرض فرنسا من ذلك كان ارضاء الاتحاد السوفياتي، شريك الحلفاء العتيد في الحرب الثانية. وواضح كذلك ان فرنسا كانت تلقى في الشيوعيين معيناً لها على مكافحة النازية في سوريا ولبنان وعلى اقامة جهاز دعائي في وجه الجهاز الدعائي النازي .

لكن تسلل الاكراد الشيوعيين الى سوريا والعراق كان على وجه من الخطورة . وقد تنبه ستالين الى الاهمية التي يمثلها وجود اكراد شيوعيين وغير شيوعيين في سوريا والعراق عندما القى خطابه عام ١٩٥١ امام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، واشار فيه الى ان « سوريا اقرب البلدان العربية الى الشيوعية ، ويليها العراق ، وذلك بسبب وجود العنصر الكردي فيها » .

الثورة الحاسمة

في مجال التعبير عن استياء محلي ، داخلي ، وفي مجال العصيان المسلح المستهدف الاعتراف بدولة كردستان والامة الكردستانية، سجلت القبائل الكردية ثورات عديدة ، كما رأينا ...

غير ان جميع تلك الثورات والانتفاضات لم تترك في تسلسل الاحداث المعاصرة ، الاثر الذي تركته الثورة التي هبت عام ١٩٤٣ وامتدت حتى العام ١٩٤٦ . تلك كانت ثورة اذربيجان .

ففي العام ١٩٤٣ اشتعلت الثورة في برزان – ايران – بقيادة الملا – او المولى – مصطفى البرازاني ومساعدة الشيخ محمد ،

شقيق مصطفى والشيخ لطيف . وكانت هذه الثورة اكثر تنظيماً من سابقاتها ، وجاء اندلاعها في ذلك الظرف العصيب من الحرب يعطيها مزيداً من الحساسية والخطورة . وعلى الرغم من اجراءات القمع استمرت الثورة . وفي العام ١٩٤٥ ، « في اثناء اجتماع هيئة الامم المتحدة في سان فرنسيسكو ، قامت لجنة كردية بانتهاز الفرصة المناسبة ورفعت الى المجلس خطابا ومذكرة وخريطة مستعرضة مطاليبها في « كردستان حر ومستقل » ، والجزم ، كما جاء في المذكرة، بان السلم لن يعم الشرق الاوسط بدون حل للمشكلة الكردية ... » (« الاكراد » ، لباسيل نيكيتين) . بيد ان هيئة الامم المتحدة لم تتخذ قراراً بشأن المطالب التي تقدمت بها اللجنة الكردية ، مما اضرم نيران الثورة من جديد ، فعادت الدماء تجري في برزان . وفي آب ١٩٤٥ تنادى الاكراد وعقدوا مؤتمراً لهم في باكو ، عاصمة اذربيجان ، وفي العراق القي القبض على الشقيقين مصطفى ومحمد ، ولكن مصطفى لم يلبث ان فر من السجن فاطلق سراح محمد لتعقب اخيه ... غير ان محمد ما ان ترجل من السيارة في ساحة برزان حتى صرخ في حشد من المستقبلين: « لبيك يا مصطفى ! حسناً فعلت بفرارك يا مصطفى ! »

وفي الثالث عشر من كانون الثاني ١٩٤٦ اعلنت جمهورية كردية في « مهداباد » برئاسة القاضي محمد البرازاني ، واعترفت بها روسيا . وفي كانون الاول من العام نفسه ادخلت اذربيجان في الدولة الايرانية والغيت الجمهورية في مهداباد، وقمعت الحكومة العراقية الثورة واخضعت زعماءها وفر مصطفى البرازاني الى

الاتحـــاد السوفياتي حيث اقام اولا ثم الى تشيكوسلوفاكيا ومكث فيها حتى سمح له عبـدالكريم قاسم بالعودة الى العراق بعد انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ .

وفي الاتحاد السوفيـاتي لم يعش البرازاني مجرد عيشة لاجىء فـــار ، وانما دخل الجيش الاحمر برتبة لواء ، وتلقى التدريب العسكري على ايدي الضبـاط الشيوعيين . ولدى وصوله الى العراق بعد انقلاب تموز وجه الى قاسم عريضة طالبه فيها بالغـاء المصالح الغربية في كركوك ...

وعلى ذكر كركوك ينبغي الاشارة ههنا الى ان ثمة راديو في ارمينيا السوفياتية يذيـع اربعة برامج باللغة الكردية في الاسبوع محرضاً المستمعين الاكراد في جبال القوقـــاز على الثورة ضد « اولئك الذين سفكوا الدم الكردي في العراق » ، داعياً اياهم الى المطالبة بالاستقلال معلناً ان الحكومة السوفياتية تساعـدهم وتمدهم بكل عون مادي ومعنوي لجعل كركوك ، حيث حقول النفط الغنية ، عاصمة لدولتهم الكردية العتيدة .

اذربيجان والارمن والاكراد

قلنا ان الثورة الحاسمة التي شهدتها اذربيجان كان لهـــا تأثير قوي على تسلسل الاحداث المعاصرة . ونود هنـا ان نورد رأياً لكاتبين فرنسيين شهيرين ، هما الاخوان جيروم وجان تارو ، عضوا الاكاديميـــة الفرنسية ، والخبيران بشؤون الشرق الاوسط والبلاد العربية . يقول الاخوان ، في مقال نشرته مجلة

« ايستوريا » في عددها الصادر في تشرين الثاني عام ١٩٥١ ، وفي بحث « قضايا الشرق الاوسط ـ البلاد العربية » ، ما ترجمته :

« في اثناء الحرب ، كان انهماك الروس والانكلوسكسون الشديد في الصراع ضد المانيا حائلاً دونهم ودون الاختلاف في ما بينهم . غير ان المزاحمات لم تكن الا نائمة . وقد رأيناها تذر قرنها ، عندما انطلقت الاشارة من اذربيجان .

« تقع اذربيجان في جنوب القوقاز ، وهي مقاطعة يقطن معظمها الارمن والاكراد . وفي السنوات الاولى من القرن التاسع عشر ، كانت لا تزال مقاطعة فارسية مئة في المئة . ولكن ، عام ١٨٢٥ حصل الجنرال الروسي باسكيافيتش من شاه ايراني قليل الشأن ، ومقابل وعود وهمية ، على التنازل لروسيا عن القسم الشمالي من البلاد . وذلك ما يؤلف ، حالياً ، جمهورية ارمينيا السوفياتية . ويريد الارمن ان يضموا الى هذه الجمهورية البقية الباقية من اذربيجان ليؤلفوا ارمينيا كبرى . وبالطبع فان الروس يدعمونهم . وعام ١٩٤٥ وصفت حكومة طهران جماعة اذربيجان بانهم عصاة وينبغي اخضاعهم بالقوة . وكانت حكومة طهران قد ارسلت لمواجهتهم فرقاً من الجيش : غير ان الروس كانوا يقطعون عليهم الطريق . وما كان ايضاً يزيد في تعقد الحالة ، انه ليس في اذربيجان ارمن وحسب ، وانما اكراد ايضاً ، وانه من اقدم العصور ، كان الارمن والاكراد لا ينفكون يتذابحون .

« هؤلاء الاكراد ، الذين غالباً ما يرد ذكرهم في الصحف ،

يؤلفون شعباً من اكثر الشعوب غرابة في الشرق الادنى . فهم ، وان كانوا مسلمين ، لهم كما للفرس ، اصول هندية ـ اوروبية . من البحر الاسود حتى الخليج الفارسي ، يؤلفون كتلة من القبائل الكثيفة ، تطمح الى احتلال هذه الاراضي منذ ما يزيد على الفي سنة قبل المسيح . انهم جبليون ومحاربون قاوموا مقاومة منتصرة ، الرومانيين ، وما قبلوا يوماً سيطرة الاسياد الذين اخضعتهم لهم مصادفات التاريخ .

« ان الاربعة ملايين كردي الذين يعيشون في تركيا هم في ثورة ضد حكومة انقره ، والاربعة ملايين الذين يعيشون في ايران لا يقل خلافهم مع حكومة طهران عن خلافهم مع حكومة انقره ، والمليون الذي يقطن ضواحي الموصل هو في نزاع مع حكومة بغداد ، وعندما لا يكونون في حالة حرب مكشوفة مع الاتراك او الفرس او العراقيين ، يشبع هؤلاء الاكراد حبهم للحرب بذبح الارمن ، الذين يكرهونهم .. »

هذا ما جاء في مقال الاخوين تارو . وبصرف النظر عن المغالطات التي يمكن ان يكون قد تضمنها هذا الرأي (وبخاصة في ما يتعلق بارقام عدد الاكراد في تركيا وايران) فان هذا الرأي يلقي ضوءاً على المشكلة الكردية وعلى ثورة اذربيجان وعلى دور روسيا في هذه الثورة ، الدور الذي لعبته هذه الدولة حتى من ايام القياصرة ..

روسيا ايضاً وراء التحريض في تركيا

قلنا ان الجمهورية اعلنت في مهد اباد يوم الثالث عشر من

كانون الثاني ١٩٤٦ ... وبعد ذلك باربعـــة ايام ، ومن جراء الخنــاق الذي شدده الروس على الاتراك وحرب الاعصاب التي شنوها عليهم بسبب مشكلة المضايق المعروفة ، اذاعت اللجنــة الوطنية الارمنية في سوريا ولبنان بياناً طالبت فيه الاتراك بان يعيدوا الى الاتحاد السوفياتي «المناطق التي اغتصبوها من ارمينيا».

واعقب ذلك رحيل عـــدد كبير من ارمن القطرين السوري واللبناني الى ارمينيا السوفياتية على ظهر سفن روسية تحت اشراف لجنة ترحيل ارمنية سوفياتية .

وعزيت هذه الحركة الى اسباب محض سياسية ، والى رغبة روسيا في استخدام هذه العناصر الارمنية كوسيلة للمطالبـــة ببعض المناطق التركية التي كانت تقطنها اكثرية ارمنية .

وفي هذه الاثناء بالذات ، لم يكتف الروس بتأليب الارمن على تركيا ، فألبوا عليها الاكراد . واثيرت قضية انشاء دولة كردية قومية ، وكثر الحديث عن حركة كردية في تركيا .

وكان ذلك مشجعاً للعناصر التركية المعارضة للحكومة على التحرك والقيام بنشاط . وفي الثامن من كانون الثاني ١٩٤٦ اعلن جلال بايار ، الذي كان رئيساً للحكومـــة التركية من تشرين الثاني ١٩٣٥ الى كانون الثاني ١٩٣٩ ، تشكيـــل « الحزب الديمقراطي » برئاستـــه . وجرت في ٢٦ ايار ١٩٤٦ انتخابات بلدية لم يشترك بها القسم الاعظم من الناخبين ، فطلب « حزب النهضة الوطني » الغاءها .

وبالطبع فسحت تلك الخضات المجال للاحزاب المعارضة

واخذت حركة العمال اليسارية تنتشر . وفي الثامن من حزيران صدق المجلس الوطني قانوناً يعلن « حرية الانتساب الى النقابات والاحزاب الا ما كان منها قائماً على اساس عرقي او ديني او اقليمي » ... اي انه حظر تأسيس جمعيات او احزاب ارمنية او كردية او عربية .

وهكذا استطاع الاتراك ان يخيبوا آمال الروس ويفشلوا خططهم ، في ما يتعلق بتحريض الاكراد على الاقل .

واليوم ...

على اثر انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ عاد الملا مصطفى البرازاني من اوروبا الشرقية بعد غياب ١٣ سنة ...

وكان للدعوة التي وجهت اليه للعودة الى العراق اثرها في الاوساط الشيوعية العراقية التي رحبت بهذه البادرة ، مما اضاف عاملاً الى العوامل التي شجعت الشيوعيين في العراق على تأييد حكومة الثورة ودعمها .

وتابع اللواء قاسم اهتمامه بـ « الاقليات » في العراق فقيل انه اتخذ لحمايته الخاصة فرقة من الاشوريين مؤلفة من خمسة آلاف مقاتل اشتركوا بالحرب الثانية تحت اللواء البريطاني في معركة المتوسط. وفي الوقت نفسه بدأ الاكراد يتسلحون سراً بالاسلحة السوفيتية عن طريق الخابور في شمال سوريا بواسطة خالد بكداش والشيوعيين السوريين .

وفي السابع من نيسان ١٩٥٩ اعلنت الصحف ان ٧٥٥

كردياً متطوعين ، تتراوح اعمارهم بين الثانية والعشرين والثانية والثلاثين ، ومسلحين تسليحاً كاملًا ومدربين على حرب العصابات قد اجتازوا قناة السويس على متن سفينة الديزل السوفياتيـــة « غروزيا » .

وتضاربت تعليقـات الصحف على وصول هؤلاء . وظهرت صحف القاهرة ودمشق بعناوين بارزة تعلن النبأ وتعلق عليه بأنه تغذية سوفاتية لشوعيي العراق . وتحدثت هذه الصحف ، ومنهـا صحيفة « الجمهورية » عن « اتفاقية سرية » اكدت انها عقدت في في موسكو في اثناء زيارة الوفد الاقتصادي العراقي لها ، برئاسة الدكتور ابراهيم كبه . وبموجب هذه الاتفاقيـــة « سيرسل الاكراد المتطوعون بعدد كبير » وذلك لـكي « يقيموا كوريا ثانية » وتأسيس « سيطرة شيوعية على العراق » . وفي نيسان كتبت صحيفة « الجمهورية » في افتتاحيتها تقول « ان جيش احتلال سوفياتي قد فرض على العراق » .

وكذبت وكالة « تاس » الاخبار التي نشرتها صحف الجمهورية العربية المتحدة وقالت فيها ان ٢٠٠٠ كردي ارسلهم الاتحـــاد السوفياتي الى العراق ، وان ثمة عدداً آخر من السفن السوفياتيـة قد اجتازت قناة السويس وهي تحمل الاكراد المدربين على حرب العصابات السوفياتية الى العراق ...

ونشرت صحيفة « الازفستيا » السوفياتية مقالاً بصدد ذلك جاء فيه :

« أعلنت هذه الصحف (صحف القاهرة) وسط ضجة كبيرة

ان اربع سفن سوفياتية تحمل ايضاً على متنهـــا اكراداً واسلحة للعراق قد اجتازت القناة ، متجهة نحو البصرة . وقد جاء في بيان وكالة « انباء الشرق الاوسط » ، الذي اعادت نشره الصحف ، ان السفينة السوفياتية « ارغون » تنقل عدداً كبيراً من الاكراد السوفياتيين المسلحين « وان عنابر السفينة « ايوفـان » تحتوي على ١١٦٠٠ طن من العتـــاد الحربي . « والسفينة القاطرة ذات الرقم « ٦٠٥٠٦ » اصبحت هي ايضاً في قائمة السفن المشبوهة ، لأنهـا ، كما يقال رفضت تعيين المرفأ الذي تقصده . وقد نشرت ، بمثابة دليل ، صورة للسفينة « ارغون » مع مجموعة من الناس على متنها. واخيراً اذيع ان السفينة البخارية « ستافروبول » تتجه نحوالبصرة وهي تقل اكراداً ، وذلك قبل ان تصـل الى بور سعيد وتعلن وصولها لسلطات المرفأ .

«ان هذه الاكاذيب قد خلقت بسرعة فوق البحار والمحيطات، واذيعت امس نهاراً في نشرة انباء الاذاعة البريطانية .

« ونظراً لان جميـع هذه الانباء ترتبط ببور سعيد ، فقـد صممنا على توضيـح الاشياء في اماكنها . فقد علم مراسلنا من مصادر وثيقة الاطلاع ، ان ليس ثمة اي سفينة سوفياتية تقل اكراداً ، سوى ، سفينة الديزل « غروزيا » التي ذكرت في بيان وكالة تاس والتي كان على متنها جميع الاكراد الذين ابدوا رغبتهم في العودة من الاتحاد السوفياتي الى وطنهم ... »

ويمضي المقال بعد ذلـــك فيفند « مزاعم » صحف القاهرة ويكذب ما اوردته .

اكراد الاتحاد السوفياتي يثيرون اهتمام العالم

لم تقتصر الضجة على هذا الحد . لم تقتصر على تعليقات صحف القاهرة ودمشق وبيروت ... ففي اليوم الذي ظهرت فيه هذه الصحف بالعناوين البارزة والحمراء وبالتعليقات الضافية على ارسال ٨٠٠ كردي مسلح من الاتحاد السوفياتي الى العراق على متن باخرة سوفياتية ، كانت صحف باقي العالم تظهر وفيها المكان البارز لهذا الخبر والتعليق الرئيسي عليه ...

ولا بأس ان توقفنا قليلاً عند بعض من هذه التعليقات ، لنطلع على مختلف وجهات النظر في هذا الموضوع الحساس والخطير .

« لاكروا » : يجب ان تعاد القضية الى مستواها الحقيقي

كتب بيير روندو في جريدة « لاكروا » الباريسية يقول :

« ان ٨٠٠ كردي مسلح مروا في قناة السويس ، وهو عمل لا يتعارض مع الاتفاق الدولي الذي عقد سنة ١٨٨٨ ، انما يزيد التوتر المصري العراقي بشكل غير منتظر . لقد سارع الرئيس عبد الناصر الى ابلاغ العالم هذا الحادث الصغير واعتقد ان من واجبه القيام بذلك . ولكن هذا الوضع يدل على اهتمامه بابراز ارتباط اللواء قاسم مع السوفييت . ومع ذلك، لا بد من الملاحظة ان الباخرة وما تحمله قد اجتازت مضيق اسطمبول قبل ان تمر بالقناة . ان الاتراك لم يجهلوا ذلك بدون شك ، كما لا يمكن الاشتباه بأنهم على اتفاق مع السوفييت او الاكراد او اللواء

قاسم . ولكنهم فضلوا السكوت ببرودة وجدارة امة عرفة حكم الامبراطورية طويلًا . ان هذه القضية يجب ان تعاد بهدوء الى مستواها الحقيقي . ان اكثر الاكراد الذين يدور الحديث عنهم ، هم من رفاق الملا مصطفى البرازاني الزعيم الكردي الذي لجأ الى ما وراء الستار الحديدي وعاد اخيراً الى العراق . ان العراق الحالي يؤمن للاكراد كياناً متساوياً وحقيقياً مع العرب ، ويضمن ذلك الدستور المؤقت الذي أعلن في ٢٧ تموز ١٩٥٨ . ولذلك لم يبق هناك سبب يدعو البرازانيين الى البقاء في المنفى . لقد عاد رئيسهم من اشهر عدة ، ومن الطبيعي ان يتبعه رفاقه .. ولما كان نقلهم عن طريق الجو غير وارد ، فمن الطبيعي ان يمروا بقناة السويس ، ولا سيما ان الوضع الجغرافي مع العراق لا يسمح بوجود اتصال مباشر مع الأراضي السوفياتية . ومن ناحية اخرى ، فان قاسم يعرف ان بامكانه الاعتماد على الاكراد ، وقد اثبت ذلك في احداث الموصل الاخيرة . ومن الطبيعي ان يغتنم الفرصة للحصول على مئات عديدة من الرجال الاشداء والمخلصين . وهذا يعني من نواح عدة ان القضية داخلية في العراق . ونضيف انه خلافاً لما يقال احياناً ، فان مصطفى البرازاني ليس الرئيس المطلق لجميع اكراد العراق ، بل هو رئيس قبيلة كثيرة القلاقل ، ولها خصوم بين القبائل المجاورة . ولذلك فان عودته قد احدثت بعض الاضطرابات في جبال كردستان العراقية ، ولجأ بعض الاكراد المعارضين الى ايران . وبالاضافة الى ذلك ، فان اقامة البرازاني طوال ١٢ سنة في الاتحاد السوفياتي تثير من ناحية اخرى الحذر

في الاوساط الكردية المحافظة . وعلى كل حال ، فان أمام الاتحاد السوفياتي من ناحية الدعاية ان يعمل اكثر من ان ينتظر عـودة هؤلاء . وقد تمكن بـدون شك ان يدس بينهم اكراداً من القوقاز ، تدربوا وفقاً للمبادىء الشيوعية ».

وختم الكاتب مقاله بقوله : « اذا كان مرور البرازانيين في السويس يدعو الغربيين وحلفاءهم الى التفكير جدياً باهمية «الورقة الكردية» والوسائل التي يحصلون عليها عندما يلعبون هذه الورقة، فان الدعاية التي اقامها ناصر حول هذا الخبر ليست بدون فائدة».

استياء في الشرق الادنى

وفي هذا الموضوع ايضاً ، تحدث ادوار سابلييه في جريـدة « لوموند » فقـال : « بانه المفهوم ان تعمد بعض الاوساط الى اغتنـام الفرصة حتى تبرهن مرة اخرى ان خصومها العراقيين اصبحوا تحت رحمة الشيوعية وهم يستعدون لانشاء قاعدة سوفياتية في قلب الشرق الادنى » .

الاكراد والشكوك

وقالت جريدة « التايمس » البريطانية للمناسبة ذاتها :

« ان اي حـدث يتعلق بالاكراد في الوقت الحاضر يثير الشكوك . فمن السهل على روسيا ان تلعب ورقة الاكراد ضد تركيا وايران ، اذ ان جمهورية العراق ، ومملكتها من قبل ، لم

يتمكنا من دمج الاكراد . ولذا فان روسيا تستطيع اغراءهم بالاستقلال واستغلالهم لابعاد العراق غن عالم عربي موحد وكسلاح عقائدي ضد عبدالناصر . ولكنه من الخطأ اعتبار الاكراد انصاراً او تابعين للاتحاد السوفياتي وللشيوعية ، فان اكثرهم ، على العكس ، يفكر قبائلياً . ولكن هذا المزيج من الاخلاص القبائلي ومن الشغب الشيوعي هو الخطر الاكبر » .

موقف اميركا

من الطبيعي ان تقلق بريطانيا ، وهي صاحبة المصالح الكثيرة في العراق ، للخطر الذي تكشفت عنه الاحداث الاخيرة . فبريطانيا تخشى من قيام نظام واقع تحت نفوذ الاتحاد السوفياتي او نفوذ اي حركة عدائية متطرفة ، ولكن مع هذا لم تقدم بريطانيا ، ازاء تفاقم الخطر الشيوعي في العراق ، على عمل ظاهري حاسم .

اما اميركا ، فما هو رأيها ؟

كانت الولايات المتحدة الاميركية طيلة الاحداث الاخيرة قلقة ، ولكن قلقها ظل في حيز التحفظ . ولم تشأ ان تتدخل ، بل وقفت على الحياد ايماناً منها بان ما يجري في العراق وبين العراق والجمهورية العربية المتحدة انما هو امر داخلي بحت لا علاقة لها به . ولكن ازاء تفاقم الخطر وتكشف النيات وبعدما برهنت بغداد

اكثر من مرة على بدء انحرافها نحو الشيوعية اخذ العالم ينتظر رأي اميركا ليطلع على الحقيقة .

وفي الثامن والعشرين من نيسان ١٩٥٩ لخص المستر الن دالس مدير قلم الاستخبارات الاميركية للجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي ، في اجتماع سري ، قضية رجال القبائل الاكراد الذين ارسلوا الى العراق من الاتحاد السوفياتي ، واوضح المستر جيمس فولبرايت ، رئيس اللجنة ، ان ذلك يبدو ان السوفيات ينوون ادخال المتاعب الى شمال العراق وخلق جسر هناك قرب الحدود التركية .

ماذا يريد الاكراد ؟

ولكن لا بد ، في هذا الخضم من الاخبار والتعليقات والتوجسات ، من طرح سؤال مهم هو الآتي : ماذا يريد الاكراد اليوم ؟

الواقع ان الجواب عن هذا السؤال قد يبدو سهلاً للوهلة الاولى ، وعلى العموم ، ويبادر المرء سريعاً الى القول : انهم يريدون انشاء دولة كردستان ! وهم يطلقون اليوم نداءهم في العراق بعدما اطلقوه في ايران وتركيا وبعدماوجدوا ان الوضع الراهن في العراق مؤات لهم ومشجع على مطالبتهم بدولة لهم وامة .

غير ان المراقب لا يستطيع ان يطلق الاحكام على هذا

الشكل العمومي ... فاذا كان بين الاكراد فئات تطلق النداء اليوم من العراق محاولة الاستقلال بكردستان « حر ومستقل » فهذا لا يعني مطلقاً ان جميع القبائل الكردية مشتركة باطلاق هذا النداء ... وسنرى في ما بعد صحة هذه النظرية .

اما القول ان الوضع الراهن في العراق شجع المطالبين من الاكراد على المطالبة بكردستانهم، فهو قول على شيء ظاهري من الصواب. فقد كان السماح للبرازاني بالعودة، الحلقة الاولى من سلسلة التعاطف بين قاسم والاكراد الشيوعيين الموالين له ثم جاء استعمال قاسم للاكراد في ثورة الموصل واتكاله عليهم في الاشتراك مع اليساريين والشيوعيين بقمع ثورة الشواف، مطمئناً للاكراد هؤلاء على ان الجو جوهم والحاكم في جانبهم ... ولم يكن ارسال ٨٠٠ كردي من الاتحاد السوفياتي الى العراق الا ليزيد في ولاء اكراد العراق الشيوعيين واليساريين (فضلاً عن ولاء شيوعي العراق ويسارييه) لعبد الكريم قاسم .

وسنرى في ما بعد كيف ان الوعود التي يغدقها الشوعيون في العراق على الاكراد كانت هي الاخرى حافزاً جديداً للقبائل الكردية على التمسك بقاسم والتحزب له .

وبعد ذلك كله، نواجه عديداً من الاسئلة نلخصها في ما يأتي :

١ ــ على من يتكل الاكراد الذين يرغبون في انشاء دولة كردستان ؟

٢ ــ من هم اعداء فكرة انشاء هذه الدولة ؟

٣ ــ هل تحارب القومية العربية اماني الاكراد في كردستان

« حر ومستقل » ؟

٤ – هل جميع الاكراد في صف واحد ؟

٥ – ماذا يترتب على المطالبة بانشاء كردستان ؟ وهل ان تحريض الاقليات في الشرق الاوسط وتحريك قومياتهم من مصلحة الشرق الاوسط في هذا الظرف ؟

هذه الاسئلة، وغيرها، سنحاول الاجابة عنها في الفصل الآتي .

الفصل الثالث

يقول قنصل روسيا في ايران سابقاً ومؤلف كتاب « الاكراد » باسيل نيكيتين مختتماً الفصل العاشر عن « الحركة الكردية الوطنية » :

« ... وفي نتيجة هذه التجربة الرامية الى تركيز المعضلة السياسية الكردية لا يسعنا اخفاء تمنياتنا الى الاكراد ، كما انه ليس بمستطاعنا ، من جهة اخرى ، انكار الفائدة الناتجة عن تتبع التجدد وتكون الروح الوطنية الجادة في اثره منذ الحرب الكونية الاولى في العجم وتركيا وغيرهما من بلدان الشرق الاوسط .

« وهنا تقع المشكلة : فتطور الجانبين كليهما جعل الاتفاق بعيد المنال ، والخروج من هذا المأزق لن يصير الا نتيجة انقلاب سياسي في مفهوم التعان . فالبادرة الضرورية يجب ان تنبثق ،

بادىء ذي بدء ، من الحكومات المعنية . وعلى الزعماء الاكراد المسؤولين ، من جهتهم ، ان يبرهنوا عن حسن نيـة وثقة . اذ انه ما دام العلاج الناجح متأخراً فسيظل الحقل مبسوطاً امـام الدسائس » .

من الكلمة الاخيرة في هذا المقطع ، كلمـة « دسائس » ، ننطلق لنرى ما وراءها ...

السياسة السوفياتية قبل الحربين وبعدهما

نرمي من هذا البحث الى عرض السياسة السوفياتيـة قبل الحربين وبعدهما بالنسبة الى البلاد العربية . وسنخلص من ذلك الى تبين موقف السوفيات من القضيـة الكردية ودورهم في تحريك بعض القبائل الكردية .

بدأ العرب في القرن العشرين يتحسسون بالسياسة الروسية منذ العام ١٩١٧ ، عندما حرص السوفيات على استرضاء الاقليات المسلحة التي كانت تتبرم بالنير القيصري فانشأوا من ١٩١٧ الى ١٩٢٠ جمهوريات مستقلة في القفقـاس المسلم وتظاهروا باحترام الشعائر الاسلامية ولم يتعرضوا للمشايخ باذى ، بينما كان اضطهاد رجال الكنيسة الارثوذكسية قائماً على قدم وساق .

ثم مرت السياسة السوفياتية في مرحلة ثانيـة من ١٩٢١ الى ١٩٢٨ ، عندما قرر السوفيات اخضاع الجمهوريات المسلمة للنظام الشيوعي وبدأوا بتنفيذ المنهاج الآتي :

١ ــ توزيـع الاراضي الموات على صغار الفلاحين المسلمين .

٢ ـ حل الهيئات الدينية .

٣ ـ القضاء على الحركة الطورانية .

٤ ـ منع مسلمي الاتحاد السوفياتي من اداء فريضة الحج لاعتبارات وطنية .

الا ان موسكو لم تسفر عن نياتها كاملة قبل ١٩٢٩ ، ففي هذا العام خطت خطوة حاسمة نحو بلشفة المسلمين غير ملتفتة الى احتجاجات رجال الدين الذين وضعتهم في معسكرات الاعتقال وحولت جامعة سمرقند الى ناد يغشاه الملحدون .

وكان لهذا التصرف صداه عند زعماء الاقوام الاسلامية الذين عهدوا الى المفتي الاكبر رازوليف بأن يتفاهم والبلاشفة ، فتمكن المفتي من اقناع موسكو بأن بلشفة المؤمنين لا يمكن ان تتم دفعة واحدة ، واخذ على عاتقه تحقيق هذا الهدف تدريجياً .

وسارت الامور على ما يشتهي الفريقان الى ان شعر السوفيات بأن هبوب العاصفة وشيك ، فعدلوا سياستهم حيال مسلمي الاتحاد السوفياتي (حوالي العام ١٩٣٨) بأن اطلقوا المعتقلين ورفعوا الرقابة عن الاوقاف الاسلامية . وبعدما اعملوا في انصار الوحدة الطورانية السيف ، وعدوا الجمهورية المسلمة بتوزيع صلاحياتها بعد انتهاء النزاع بحيث يكون لها ممثلوها الدبلوماسيون في الخارج. وقد ارادت موسكو بهذا ان تبعث الى الدول الاسلامية بممثلين يعملون على توجيه السواد بما يتفق ومصلحة الاتحاد السوفياتي .

تلك كانت ، بايجاز ، سياسة الاتحاد السوفياتي حيال المسلمين رعايا الاتحاد . أما سياسته حيال الاسلام عموماً فقد املتها مصالحه

الدولية واستوحى الكرملين خططها من اضبارات العهد القيصري.
وادرك السوفييت ان الحادهم قد يفسد خططهم في ديار الاسلام وفي الاوساط المسيحيــة التي كان القياصرة يتدخلون في شؤون الامبراطورية العثمانية بحجة حمايتهـا ، فأعلنوا ان البلشفية ليست مادة للتصدير وان الاتحـــاد السوفياتي يتتبع بعطف الحركات التحررية في البلدان الخاضعة للسيطرة.

ورسم تشيشرين لمواطنيه خطة العمل فقال ان الشعوب الشرقية المستعبدة ستجد في روسيا الحمراء حليفاً طبيعياً اذا عرف السوفيات ان يستميلوا هذه الشعوب وان يثيروها ضد الاستعمار والاجانب . وعملت روسيا باديء بدء بهذه النصيحة ، وحمـــد الرأي العام الاسلامي للروس الحمر بوادر طيبة منهـا اعادة بعض المناطق القفقاسية الى تركيا والتنازل عن الامتيازات الروسية في ايران وتشجيع الحركات الاستقلالية في افريقيا الشمالية الفرنسية ومصر والهند والافغان .

وعقد في باكو وموسكو بين ١٩٢٠ و ١٩٢٤ اربعـــة مؤتمرات اسلاميـــة اتخذت فيهـــا مقررات ضد الفرنسيين والانكليز .

ويقول الفونس غوبي في كتابه «الاستعمار في ديار الاسلام»:
« وفي هذه الاثناء (اى بـين ١٩٢٠ و ١٩٢٤) كانت « الدولة الثالثة » (الكومنترن) وممثلو روسيا الدبلوماسيون يمهدون السبيل في الخارج امام الاستعمار السوفياتي او المطامـع القيصرية بشكلها الجديد . وقد تمكن رسل الدولية الثالثـــة من تأليف

احزاب شيوعية في أربعة اقطار العالم ، تتولى قيادة الحركات العمالية وتقف بالمرصاد للمطامع الانكليزية وغيرها ، وتخدم قدر طاقتها المشاريع السوفياتية . الا ان اللعبة البولشفية ما عتمت حتى اتضحت لكل ذي عينين وأدركت الاقوام الاسلامية التي خدعتها الظواهر وغرر بها رسل موسكو ان العطف الذي ابداه الروس على امانيها القومية كان ذراً للرماد في العيون ، وان السوفيات يطمحون بعد تحررها الى الحلول محل المستعمر السابق (وهو ما وقع لمقاطعة تركستان الصينية التي شجعها السوفيات على تحطيم النير الصيني ...) »

كان ذلك قبل الحرب الأولى وبعدها . وفي الحرب الثانية لم يكتف الروس بخوض الحرب ضد المانية وانما استخدموا الاحزاب الشيوعية في البلدان «التي حرروها» في تحقيق اهدافهم التوسعية وكادت لعبتهم في شمال ايران تطيح باستقلال هذه الدولة ...

واذا كان السوفيات قبل الحرب قد اوغروا صدور المسلمين ضد « الرأسمالية مستعبدة الشعوب » ، فانهم اليوم يضربون على وتر القومية. ولكن الصراع الجديد الذي نشب ، على اثر الخطاب الذي القاه الرئيس عبدالناصر وفضح فيه محاولة الحزب الشيوعي السوري عرقلة الوحدة بين سوريا ومصر ، جعل العرب يرون وجه السوفيات سافرا من هذه الناحية وجعلهم يتأكدون ان الشيوعية لا تؤمن بالقومية كما انها لا تؤمن بالأديان . والواقع ان الشيوعية تستعمل الدين والقومية لمصلحتها ، فاذا ما بدا ان

الظهور مظهر الملحد يعرقل خطتها التوسعية سترت وجهها حيناً لتضلل . وقد رأى الكرملين ان شعوب آسيا، والشعوب العربية بوجه خاص ، تتفتق عن نهضة قوميــة وتحس بأمان قومية ، فأخذ يشيع انه نصير القوميات الى درجة افلح معها ، الى حين ، في ايهام العرب بصحة ما يدعي .

في محاضرة القاها ستالين عام ١٩٢٤ في جامعـــة سفردلوف ، قال : « يجب ان تدرس الحركات القومية من الزاوية التي تكمن فيها مصالح الاتجاه نحو الثورة لا من زاوية الحقـوق المجردة » . وهذا بالفعل ما فعلته الشيوعية وموسكو . فقد لمست موسكو رغبة العرب في التحرر من السيطرة الاجنبية، وبعدما نقرت لهم على وتر الدين ، رأت ان النقر على وتر القومية بات اجدى. وشرعت تحالف « البورجوازية الوطنية » والهيئات الناقمة والمعارضة وتوغر صدور الفئات الاقلية متسترة برداء القومية تمهيداً للدخول بين الصفوف ، وهذا ما فعله الشيوعيون في سوريا ... وعندما نادى السوريون بالوحدة مع مصر كان الشيوعيون في طليعـة المنادين اول الامر ظناً منهم ان الوحدة لن تتم وأنهم سيكسبون بندائهم عطف الجميع ولا يخسرون شيئاً . وعندما رأوا ان الوحدة على وشك التمام تحولوا الى المطالبة باتحاد.. ثم الى عرقلة الوحدة بجميع قواهم... وأخيراً ، وبعد خطاب الرئيس عبدالناصر في ذكرى الوحدة ، انكشفت نياتهم ونقلوا نشاطهم الى العراق .

وفي العراق يعمل الشيوعيون اليوم على تحريك عـــدد من القوميات في طليعتها القومية الكردية فالقومية اليزيدية والاشورية والصائبية !

على من يتكل الاكراد

الذي ينظر الى وضع القبائل الكردية الموزعة بين خمس دول لا يسعه الا ان يتساءل : على من يتكل الاكراد المطالبون بكردستان « حر ومستقل » ؟

يتضح لنا من سياق تاريخ القضية الكردية ان هذه القضيـة ذات علاقة بالاتحاد السوفياتي .

وللدلالة على وجود هذه العلاقة نكتفي بعدد من الشواهد الحديثـــة :

في آب ١٩٤٥ اندلعت الثورة في برازان . وبعد ثلاثة اشهر من السنة نفسها عقد مؤتمر كردي في باكو ... وباكو هي عاصمة اذربيجان ، واذربيجان هي جمهورية سوفياتية .

في ١٣ كانون الثاني ١٩٤٦ اعلنت جمهورية كردية في مهد اباد ... وسارعت روسيا الى الاعتراف بهذه الجمهورية !

بعد قمع ثورة ١٩٤٦ ، نفي زعيم قبيلة برازان الملا مصطفى الى موسكو ... وظل وراء الستار الحديدي حيث دخل الجيش الاحمر برتبة لواء حتى سمح له عبد الكريم القاسم بالعودة على اثر انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ .

من ارمينيا السوفياتية يذيع الراديو السوفياتي اربع برامج باللغة الكردية في الاسبوع محرضاً المستمعين الاكراد في جبال القوقـاز على الثورة ضد « اولئك الذين سفكوا الدم الكردي في العراق » داعياً اياهم الى المطالبة بالاستقلال معلناً ان الحكومة السوفياتية تساعدهم وتمدهم بكل عون مادي ومعنوي لجعـل

كركوك ـ حيث حقول النفط ـ عاصمة دولتهم الكرديـــة العتيـــدة .

في ٧ نيسان ١٩٥٩ اجتـازت قناة السويس سفينة الديزل السوفياتية « غروزيا » وعلى متنها ٨٥٥ كردياً بينهم الكثيرون من اكراد القوقـــاز المدربين على حرب العصابات والمسلحين تسليحاً كاملاً .

الاكراد في بيانات الشيوعيين

نورد في ما يأتي فقرات تدل على مدى اهتمام الشيوعيين ومن ورائهم الاتحاد السوفياتي بالقبائل الكردية الموجودة في العراق . وقبل ذلك نود ان نعيد ذكر ما قاله ستالين في الخطـاب الذي القاه عام ١٩٥١ امام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي واشار فيه الى ان « سوريا هي اقرب البلدان العربيـــة الى الشيوعية ، ويليها العراق ، بسبب وجود العنصر الكردي فيهما » .

بعد اسابيع من قيـام ثورة العراق في ١٤ تموز ، اي في ٣ ايلول اصدر الحزب الشيوعي في العراق بياناً استهله بقوله :

« منذ سنوات طويلة دأب حزبنا الشيوعي على تلمس طريق التقدم كرأس رمح للشعب العراقي المجاهد الذي كان يشق طريقه بصعوبة نحو التحرر الوطني الديمقراطي ، ونحو التضامن والوحدة الوطنية للشعبين المتـآخيين العربي والكردي .. »

وفي مكان آخر يقول البيان :

« .. واليوم حيث تطرح بعض الامور المختلف عليهـا بين

القوى الوطنية يواصل حزبنا بثبات طريق تبادل الرأي النزيه في « جبهة الاتحاد الوطني » وخارجها بغية الاتفاق على مـا فيه خير الشعب وصالحه . ومن بين اكثر هذه المسائل اهمية تبرز امامنا مسألة تشخيص خير الروابط وامتنها بين جمهوريتنا العراقية الفتية وسائر الدول العربية المتحررة ، وعلى الاخص بينهـا وبين الجمهورية العربية المتحدة ، وفق مصلحة شعبنا العراقي ، بعربه واكراده الخ .. »

وفي مكان آخر من البيان :

« .. ان جمهوريتنا العراقية الفتية تحمل معها الآن آمـال جمـاهير شعبنا العراقي بعربه واكراده ، وبمختلف طبقاته الاجتماعية الخ ... »

ويستطرد البيان :

« ... والشعب الكردي ، الذي امتزجت دماء ابنـائه الشجعان بدماء ابناء الشعب العربي الميامين في الكفاح ضد عهود الظلم والطغيان ، هو الاخر قلق على مصير حقوقه القومية كشعب ينشد لنفسه بحق ، اسباب التقدم والرفاه . هـذا الشعب الذي استبشر ايما استبشار بما جاء في الدستور الموقت للجمهورية العراقية بخصوص مشاركته في الوطن العراقي ، يطمح الى تحويل هـذا البنـد الى واقع عملي يجني ثماره جنباً الى جنب مع الشعب العراقي في العراق » .

وينهي المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي بيانه بقوله :

« ... واخيراً ، ان المهمة الكبرى الآن ، هي التوجه باقصى

الطاقة نحو تعزيز مكاسب الثورة ، وتوطيد النظام الجمهوري الوطني . ولا سبيل الى ذلك سوى سبيل المحافظة على وحدة الصف الوطني ، وحدة العرب والاكراد وسائر الاقليات ، وحدة سائر طبقات وفئات الشعب واحزابه وقواه الوطنية ، وحدة الشعب والجيش على اساس ديمقراطي سليم . وبهذا الشكل يمكن انضاج فكرة الارتباط بالبلدان العربية المتحررة ، والعمل من اجلها بوعي وثبات . وبالتالي، فتح طريق رحب خال من العثرات امام اتحاد عربي شامل » .

وجدير بالذكر ان البيان اورد الفقرة الآتية : « والشعب الكردي ... هو الآخر قلق على مصير حقوقه القومية كشعب ينشد لنفسه بحق اسباب التقدم والرفاه ... » اورد هذه الفقرة في سياق كلامه عن الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة ، ذلك « الاتحاد القومي » الذي « ثبت فشله في اقليمي الجمهورية العربية المتحدة وخصوصاً في الاقليم السوري » كما يقول البيان .

والتقريب بين التشديد على مصير حقوق الاكراد القومية كشعب ينشد لنفسه اسباب التقدم ، وبين معارضة الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة ذو مغزى بعيد . فلو كان هذا الكلام عن حقوق الاكراد القومية في غير هذا المقام ، في مقام غير مقام المقارنة والتقريب والمناقضة ، لجاء طبيعياً دون شك . غير ان المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي اراد من التوكيد على حقوق « الشعب الكردي » في العراق ان يوقظ في الاكراد اموراً عدة ، ابرزها ان يعي هؤلاء ان الشيوعيين يهتمون بامرهم،

بل ان الشيوعيين هم وحدهم يهتمون بامرهم ويسعون جهدهم الى اعطاء الاكراد حقوقهم . كما اراد المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي البرهنة على ان الاكراد ، بصفة كونهم شعباً مستقلًا له مميزاته وله حقوقه « القومية » لا يستطيعون بشكل من الاشكال الذوبان في وحدة عربية ، اي في وحدة « قومية » تختلف عن « قوميتهم » الكردية وتجعلهم يقلقون على مصير حقوقهم فيها ...

والواقع انما يسوقه البيان الشيوعي في هذا الصدد ليس برهنة بقدر ما هو اشارة مبطنة بالتهديد . ويلوح وراء السطور ان الشيوعيين يهددون، او هم باشروا بالفعل استخدام القضية الكردية وتحريك القومية الكردية ليأخذوا منها حجة على عدم صلاح العراق للذوبان في وحدة قومية عربية .

وهنا نعود الى الاصطدام بالتناقض السافر في سياسة الشيوعيين : كانوا بالأمس ينادون بوحدة عربية تشمل جميع الاقطار العربية دون استثناء ، فهل كانوا بالأمس غافلين عن وجود قوميات في قلب الاقطار العربيه غير قابلة للذوبان في هذه الوحدة ؟ هل كانوا غافلين عن هذه « الحقيقة » بالأمس وعادوا اليوم واستيقظوا عليها بغتة ، وبكل براءة ؟

الواقع ان التناقض في سياسة الشيوعيين هذه ليس تناقضاً بالنسبة للشيوعيين انفسهم ... ولدينا ، من التقرير الذي القاه السيد خالد بكداش امام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني في اجتماعها المنعقد في كانون الثاني ١٩٥١ دليل

اكيد على ما نقول .

يمكن تقسيم تقرير بكداش المعنون «حزب العمال والفلاحين» ثلاثة اقسام :

١ – على الاحزاب الشيوعية العربية ان تؤيد القومية العربية كمرحلة نحو الاشتراكية .

٢ – على الشيوعية ان تؤيد الرأسمالية الوطنية وتتكتل معها .

٣ – يجب ان يستغل الشيوعيون الاحزاب القومية الاشتراكية في العالم العربي .

ونحن يعنينا في هذا البحث النقطة الاولى والثالثة من تقرير بكداش .

القول ان تأييد الشيوعية للقومية العربية هو مرحلة نحو الاشتراكية له تفسيره في التقرير . فخالد بكداش يعتقد ، مثله في ذلك مثل سائر الشيوعيين في العالم، ان الحركات الجماعية متى احسن استغلالها تصبح حقلاً خصباً للمبادىء الشيوعية . وتأييد الشيوعية للقومية العربية يجعل هذه تشعر دائماً بـ « فضل » الشيوعية عليها ، حتى اذا ما توارت الشيوعية مرة عن مسرح التأييد شعرت القومية العربية بفراغ هائل ... والشيوعيون يجيدون فن الدعاية ، وهم من هذه الناحية اسياد . ولكن ما دامت الامور بين القومية العربية والشيوعية سارية على خير ما يرام ، فلن يصطدم الاثنان وبالتالي لن يتسنى للقومية العربية ان ترى وجه الشيوعية على حقيقته . اي ان القومية العربية ستظل تعتقد ، ما دام الحلف ساري المفعول ، بأن الشيوعية نصيرة لها لا تبغي من وراء تأييدها

للأماني القومية مأرباً قط .. وفي هـذا الجو من الثقة ، وبينما تستمر الشيوعية في تأليب الجماعات على الغرب وتبغيضها به ، تعمل على الاندساس عقائدياً في الصفوف مستغلة اسهمها التي كسبتها من تأييد القومية العربية .

قد يعترض احد قائلاً : ومتى انتصرت القوميـة العربية ماذا يفعل الشيوعيون؟ ماذا يبقى للشيوعية ؟ وكيف يوفق الشيوعيون بين اندفاعهم وراء تأييد القومية العربية وعقيدتهم الاشتراكية التي لا تؤمن بالقوميات ؟

عن هذه الاسئلة نجيب بأن الشيوعية تؤمن بأن توحيد العـالم العربي متعـذر ما دام الاستعمار سيعمل للاحتفاظ بالوضع الراهن... اما اذا تخلص العالم العربي نهائياً من النفوذ الاستعماري فسيجد نفسه ، تلقائياً ، ملقحاً بالبذور الشيوعية نتيجـة لمعايشته الشيوعية ردحاً من الزمن ونتيجة لتأثير الدعاوات الشيوعية فيـه ونتيجة لافتقاره، بعد تخلصه من النفوذ الخارجي، الى حليف آخر ..

ومن هنا نستطيع ان نتبين الدور الحقيقي الذي تلعبه الشيوعية في قضية الاكراد .

لقد حالفت الشيوعية العرب ثم ناصبتهم العداء المكشوف عندمـا خطوا الخطوة الاولى في سبيل الوحـدة القوميـة .

والآن تحولت الشيوعية الى العراق لتعزله عن الركب .
وازاء المعارضة الشديدة في الداخل لمـا تنويه الشيوعية هناك وللانعزالية التي تنادي بهـا مقدمة لـ « الاشتراكية » ، رأى الشيوعيون ان الافضل هو اللجوء الى تحريك الاقليات وتحريضهم

على المطالبة باحترام « حقوقهم القومية » .

ونظراً للخبرة التي اكتسبها الاتحاد السوفياتي في هذا الشأن عندما كان يؤلب اكراد تركيا على الحكومة التركية واكراد ايران على شاه ايران ، ونظراً لوجود اكراد شيوعيين بين القبائل الكردية في العراق ، ونظراً لوجود المــــلا مصطفى البرازاني المدرب تدريباً شيوعياً « كافياً » على حرب العصابات ، ونظراً لأنه بامكان الاتحاد السوفياتي ان يغـذي الاكراد الشيوعيين في العراق بدفعات اضافية من الاكراد المنفيين اليه والاكراد رعايا الاتحاد انفسهم ، بدأ الشيوعيون منذ اللحظة الاولى ينقرون على وتر « حقوق الاكراد القومية » .

وبالأمس فعل الاتحاد السوفياتي التجربة « القوميــة » نفسها مع العرب ولكن ثمة فرق كبير بين التجربتين . فعندمـــا ايد الاتحاد السوفياتي القومية العربية كان يؤيدها ضد الحائلين دون وحدة العالم العربي ، أما اليوم فهو يحرك الاكراد ضد وحـدة العالم العربي .

وكما عاد الاتحاد السوفياتي والشيوعيون وافتعلوا ذلك الصراع مع الجمهورية العربية المتحـدة واظهروا نيتهم الانعزالية ، سوف يعودون ، بعدما يستتب لهم ما يريدون من استغلال الاكراد ، الى محاولة تحطيم « القومية الكردية » ، التي ينادون بها اليوم .

واذا كان الشيوعيون قد اخفقوا في تحويل القومية العربية الى الشيوعية ، فليس من المستبعد ان ينجحوا في « بلـع » هذا الكردستان « الحر والمستقل » الذي غرروا به الاكراد .

من هم اعداء فكرة انشاء كردستان

الآن وقد رأينا ان الشيوعية هي التي تثير الاكراد وتلعب بهم في العراق كما سبق ان حركتهم في تركيا وايران، نصل الى النقطة الثانية من هذا الفصل ، وهي : هل من اعداء لأنشاء فكرة كردستان ؟ ومن هم ؟

في خطاب القاه في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي السوفياتي في آذار سنة ١٩٢١ ، يقول ستالين :

« لا توجد في مبادىء الحزب الشيوعي كلمة واحدة حول الحق القومي بتقرير المصير ، غير اننا نعتبر هذا الشعار في الوقت الحاضر ، اي في الوقت الذي تلتهب فيه حركات التحرير القومي في المستعمرات ، شعار الثورة ، وما دمنا نهتم بمستقبل الاقطار العربية والهندية وبلاد ما بين النهرين ، فان شعار حق الشعوب بالانتفاضة على الحكومات القائمة ، هو شعار الثورة » .

مما يعني انه اذا اقتضت مصلحة الاتحاد السوفياتي ورغبته التوسعية تأييد الحق القومي فلا بأس من هذا التأييد حتى وان لم يكن وارداً في مبادىء الحزب الشيوعي . فمبادىء الحزب ، كما قال تشيشرين ، ليست مادة للتصدير . فالاتحاد السوفياتي يصدر ما يلائم مصلحته في الخارج . وهذا يعني ان مماشاة الحق القومي ليست الا مرحلة موقتة هي بمثابة جسر يتيح للشيوعية العبور الى وسط الصفوف .

وعلى ضوء هذه السياسة ذات الوجهين ينبغي ان ننظر الى موقف الشيوعية اليوم من قضية الاكراد . فالشيوعية التي تؤيد

حق الاكراد في تقرير مصيرهم القومي تستوحي خطتها التقليدية في هذا الشأن . انها تتخذ من هذه القضية ستاراً لمآرب اخرى . ليس ذلك وحسب ، بل من الواجب القول ان الشيوعية ، في موقفها التأييدي من قضية الاكراد ، لا تعدو كونها العدو الاول لهذه القضية !

وليس في ذلك ادنى غرابة ، انما هو منطق الشيوعية بالذات ، المنطق الذي يملي عليها اثارة القوميات حتى اذا ما نضجت هذه القوميات على يدها ويد دعاوتها باتت لقمة سائغة في فم « الاشتراكية » .

فالاتحاد السوفياتي ، نصير الاكراد وحامي حقوقهم القومية ، هو عدوهم بالذات ، وهو عدوهم الوحيد .

القومية العربية والقومية الكردية

والقومية العربية هل تقف موقفاً عدائياً من القومية الكردية؟

عندما اعتنق الاكراد الاسلام كانت كردستان جزءاً من ممالك الخلافة الاسلامية من العام ٦٣٦ حتى ١٢٥٨ . وبعد غزوة هولاكو حكمها المغول والتركمان من ١٢٥٨ حتى ١٥٠٩ .

وفي القرن السادس عشر تقاسمتها السلطنة العثمانية والامبراطورية الفارسية ، فنالت الاولى ثلاثة ارباعها ونالت الاخرى الربع .

وبعد الحرب العظمى انشأ الانكليز دولة العراق بموجب اتفاق سايكس ـ بيكو السري ، وكانت حدود الدولة الجديدة

تضم ثلاث ولايات عثمانية، هي ولايات البصرة وبغداد والموصل. وبضم الموصل الى العراق انتقل جزء من كردستان الى العراق، هو اقل من ربعها بقليل، وبقي اكثر من النصف في تركيا والباقي في ايران.

تلك هي التطورات التي ادت الى دخول قسم من كردستان في العراق.

وجدير بالملاحظة ان الحدود الجغرافية المشار اليها هي جديدة بالنسبة لكردستان، بقدر ما كانت جديدة بالنسبة للعرب. فقبل السنة ١٩١٨ كان العرب والاكراد يعيشون في مجتمع واحد مشترك تجمعهم فيه الاخوة الاسلامية، خاصة بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر ميلادياً، وقدموا للاسلام خدمات عظمى، يكفي ان نذكر منها خدماتهم في صد الحروب الصليبية.

ومنذ ذلك الحين والاكراد يعيشون والعرب عيشاً مشتركاً ويسهمون بكل مجتمع يجمعهم اسهاماً فعالاً.

ولكن هذا الانسجام الاخوي، ضمن نطاق الايمان الديني الواحد، دخل عليه في هذا القرن عاملان جديدان: الحدود الاقليمية التي خلفتها لنا معاهدة سايكس – بيكو في اعقاب الحرب الأولى، ثم الحركة القومية العربية التي انبثقت منها في ثورة الحسين الاولى عام ١٩١٥، ثم في ثورة عبد الناصر القومية الجديدة.

وبحكم اشتراك العراق في المجموعة العربية، كانت العلاقة بين العرب والاكراد – قومياً – موضع تساؤل في العقود

الاخيرة ، الى ان وقعت حوادث العراق الاخيرة .

انبثقت القومية العربية قبيل الحرب الكونية الاولى باعتبارها حركة مضادة للقومية الطورانية التي نادى بها جماعة « الاتحاد والترقي » ، وشحذها الاحتلال والاستعمار حتى تبلورت .

فهل يفترض ان يؤدي اندفاع القومية العربية الى شحذ القومية الكردية ، وبلورتها ؟

وهل التحدي القومي الطوراني الذي ولد الرد الفعل العربي ، يتجدد الآن في تحد قومي عربي يستفز الاكراد قومياً ؟

وهل هي محققة تلك الفكرة التي ينادي بها الشيوعيون والتي تريد ان تضع الاكراد آلياً في الصف المعادي للقومية العربية ، بحكم كرديتهم ؟

قبل كل شيء ينبغي القول ان القومية العربية لا تتحدى بأي شكل من الاشكال الاكراد ، على غرار ما تحدت القومية الطورانية العرب في أخر العهد العثماني . والحركة القومية العربية ليست عنصرية ، بمعنى القوميات المألوف في كثير من بلدان العالم ، وانما هي حركة اتحادية تستهدف جمع العرب في دولة واحدة ولا تقوم على تفجر عنصري ، على غرار المفهوم الهتلري مثلًا للقومية الجرمانية .

فان الهدف الأول للحركة القومية العربية تحرير بلادها من السيطرة الاجنبية بشكل عاد بالخير على جميع ابنائها . وعاش العربي والكردي في العراق، منذ قيام الحدود الجغرافية الجديدة عيشاً اخوياً مشتركاً وتميز بعدد كبير من شخصيات كردية

كانت تعمل باخلاص في سبيل تحقيق الوحدة العربية ، كما كان كثيرون من الزعماء العرب في العهد الماضي يحرصون على مصلحة الاكراد وشعورهم حرصهم على المصلحة العربية .

الشيوعيون يحاولون اليوم ان ينفروا الاكراد من القومية العربية جاهدين ان يصوروا الحركة القومية حركة قومية عنصرية ، ولكن القومية العربية كما قال الرئيس عبد الناصر انما هي « فلسفة اجتماعية قبل كل شيء تنبع من صميم الامة العربية ووجودها » . (من خطاب القاه في شباط ١٩٥٩ بمناسبة ذكرى الوحدة) .

من ذلك كله نخلص الى القول ان الحركة العربية هي ملك لجميع اولئك الذين يعيشون في الشرق العربي ، سواء اكانوا من قومية اخرى ام من دين اخر ، فهي لهم ومنهم ، على الرغم من التسمية .

أما في صدد انشاء دولة كردستان فللعرب رأي اخر ... ان العرب يؤمنون بأن اثارة القضية بهذا الشكل وعلى ايدي الذين يستغلونها لمطامعهم التوسعية لا تخدم الاكراد ولا تخدم العرب في هذه الظروف الحرجة . العرب لا يمكن بأي شكل ان يقفوا في وجه امنية قومية واحدة ، وهم الذين يعرفون قيمة هذه الاماني ... ولكنهم يأبون ان تتخذ قضية كردستان سلاحاً ضدهم يشهره الاتحاد السوفياتي واتباعه في الشرق العربي .

والسواد الاعظم من الاكراد يشعرون بذلك ... انهم يتحسسون بخطورة الورقة التي يلعبها الاتحاد السوفياتي على حسابهم

ولمنفعته الخاصة ... ان السواد الاعظم من الاكراد وقفوا ، كما اثبتت الاحداث الاخيرة ، في وجه المحاولات الشيوعية ونزلوا الى الساحة يعلنون ان الاخوة التي تربطهم بالعرب لا شيء يفصلها .

هل جميع الاكراد في صف واحد ؟

يخطىء من يظن ان جميع الاكراد يمثلون الصورة التي تتداولها عنهم الصحف والناس هـــذه الأيام . يخطىء من يظن ان جميع الاكراد شيوعيون . كما يخطىء من يظن ان معظمهم شيوعيون. ويخطىء، اخيراً ، من يظن ان الملا مصطفى البرازاني، الذي يلعب دوراً رئيسياً في تنفيذ اوامر الاتحـــاد السوفياتي ومخططاته في العراق ، يبسط سيطرته على نفر كبير من الاكراد . فهو زعيم قبيلة واحدة هي قبيلة برازان ...

ولا نرى لاظهار الصراع الداخلي بين الاكراد انفسهم، اصلح من ايراد موجز للحوادث التي وقعت في اواخر نيسان واوائل ايار ١٩٥٩ . ففي ٢٨ نيسان صرّح مسؤولون اتراك بأن سبعمئة شخص من رجال القبائل الاكراد في العراق عبروا الحدود ومنحوا حق اللجوء في تركيا .

وذكرت جريدة « حرية » اليومية الصادرة في استنبول ان هؤلاء الاكراد عبروا الحدود من مقاطعـــة هاكارى الواقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من تركيا .

وقالت ان عدداً منهم قد أصيب بجراح .

وفي ليل ٢٨ نيسان ايضاً اذاع راديو دمشق ان ستين الف كردي من الاقليم السوري حضروا مهرجاناً كبيراً دعا اليه الزعيم الديني

الكردي ملا رشيد في محافظة الجزيرة لنصرة الشعب العربي في العراق.

وقال الراديو ان الخطباء في المهرجان اعربوا في خطاباتهم عن تأييدهم لسياسة الرئيس عبد الناصر وللاخوة الكردية - العربية، كما اعربوا عن استنكارهم للحكم في العراق.

وفي ٤ ايار وردت انباء عن نشاط ثوري في العراق. وقالت صحيفة « اتحاد الشعب » البغدادية الشيوعية في عددها الصادر في ذلك اليوم ان « الاقطاعيين قاموا بأعمال ضارة ضد الفلاحين وهاجموا مراكز الشرطة في بعض المناطق قرب الحدود التركية والايرانية ».

وتابعت الصحيفة الشيوعية قائلة :

« لوحظت هجمات هدامة في مناطق زاخو وعقره والعمادية - قرب الحدود الشمالية مع تركيا - حيث وزعت بعثة النقطة الرابعة مبالغ ضخمة من المال وكميات من الرشاشات والقنابل اليدوية على كبار الملاكين مثل بيشا آغا وشمدين آغاه ».

وبيشا آغا وشمدين آغا هما زعيما قبيلتين كرديتين. وكان شمدين وزيراً في حكومة العراق قبل الثورة. وقالت الصحيفة انه جرت اعمال « تخريبية » في المنطقة بين سنجار وخناقين على الحدود الايرانية واتهمت الصحيفة نفسها في افتتاحيتها الرئيس عبد الناصر بمساعدة « الهدامين الاكراد » بحشده القوات في سوريا عبر الحدود العراقية الشمالية الغربية.

واضافت « اتحاد الشعب » قائلة :

« يقوم الاقطاعيون، على الحدود الايرانية والتركية، بأعمال ضارة ضد الفلاحين ويهاجمون الشرطة في بعض المناطق وخاصة في

نبع . وليست هذه الاعمال الارهابية مضرة كثيراً بحد ذاتها ولكن من الواجب القضاء عليها ... لقد اختار المتآمرون المنطقة التي يسهل الوصول اليها عبر الحدود التركية ».

ووصفت الثوار بانهم يحملون اسلحة حديثة وقنابل يدوية ورشاشات ، وان الضباط الاكراد يرتدون ثياباً كردية مدنية ويعملون بين رجال القبائل ، وان عائلات الاكراد ارسلت الى حيث تكون في مأمن في تركيا وايران .

وتعقيباً على الانباء التي نشرتها « اتحاد الشعب » الشيوعية نشرت الوكالة المصرية « وكالة انباء الشرق الاوسط » في ٤ ايار خبراً جاء فيه ان رجال القبائل والاكراد حاصروا القوات الحكومية العراقية التي ارسلت الى قضاء « اربيل » لقمع الثورة التي نشبت هناك في ٢٤ نيسان . وقالت الوكالة نقلاً عن « انباء موثوق بها وصلت لتوها من العراق » ان الثوار حاصروا امدادات رئيس الوزارة اللواء عبد الكريم قاسم الى المنطقة المجاورة للحدود الايرانية والتركية .

وفي ٥ ايار تلقت جريدة « حرية » اليومية الصادرة في استنبول برقية من الحدود العراقية تفيد ان اشتباكات دامية وقعت في ٣ ايار بين الاكراد الذين ينتمون الى مصطفى البرازاني والاكراد الذين ينتمون الى قبيلة الشيخ رشيد المناوئة للشيوعية ، وقتل وجرح فيها عدد كبير من الفريقين .

وقالت الجريدة ان الكثيرين من افراد قبيلة الشيخ رشيد وغيرهم من الاكراد اخذوا يفرون باسلحتهم من العراق الى تركيا

عن طريق منطقة كيران ، وان ٣٥٠ عائلة كردية اجتازت يوم ٤ ايار الحدود الى تركيا وطلبت من السلطات حمايتها . وقالت الجريدة ان هذا هو الفوج الثالث الذي لجأ الى تركيا .

وبدأت الحكومة العراقية تقلق من التجاء الاكراد المناوئين للشيوعية الى الاراضي التركية ، فحشدت قوات كبيرة من الجيش بالقرب من الحدود التركية لمنع تسرب الاكراد الى الاراضي التركية .

ويوم ٤ ايار ارسل فرع جمعية الهلال الاحمر التركية الخيام والمواد الغذائية الى الاكراد اللاجئين .

وبعد التجاء زهاء ٧٠٠ كردي من العراق الى تركيا ، افضى مسؤول في وزارة الخارجية بتصريح الى مندوب جريدة «ظفر» اليومية الصادرة في انقره قال فيه « ان التجاء هؤلاء الاكراد الى تركيـــا واعتبارهم لاجئين سياسيين لن يؤثر مطلقاً في علاقات الصداقة والجوار القائمة بين تركيا والعراق » .

وفي ٥ ايار كذلك قال العقيد طه البرماني ، قائـد « المقاومة الشعبية » في العراق ، ان « جماعـــة صغيرة من رجال القبائل الاكراد الثائرين يقاومون القوات الحكومية في الزاوية الشمالية الشرقية من العراق » .

وقال العقيد طه البرماني ان عـدد الاكراد المتمردين « لا يتجاوز الثلاثمئة » في المستطيل الجبلي الواقع شمالي شرقي رواندوز المجاورة لحدود تركيا وايران .

واكد قائد المقاومة الشعبية انه لم تقع اضطرابات في اماكن

اخرى من الحدود ، ولكن اثنين من زعماء الاكراد في زاخو اعتقلا لانه اشتبه بان لهما علاقات بضباط اتراك .

وقد طلبت صحيفة « اتحاد الشعب » الشيوعية في افتتاحيتها في ٥ ايار « تسليح افراد المقاومة الشعبية والفلاحين » ، واوحت بان « النشاط الارهابي » منتشر على حدود العراق الشمالية ، من سنجار في الشمال الشرقي الى خانقين في الشرق . وجددت الجريدة طلب اشراك شيوعيين بالحكم .

ولكن العقيد طه البرماني اكد ان المقاومة النشيطة الوحيدة صادرة عن حوالي ٣٠٠ من اتباع الشيخ رشيد في طرف الزاوية الشمالية الشرقية من البــلاد . واضاف ان قتالاً نشب بين جماعة رشيد واكراد آخرين ، وبين انصار رشيد والمقاومة الشعبية .

ووصف العقيد البرماني الشيخ رشيد بانه « ملا اخذ اموالاً في الماضي من جميع الجهــات : الاتراك والايرانيين والروس وجميع الناس ، وهو الان يتلقى الاموال من الاتراك والايرانيين » .

وفي ٦ ايار كتب مراسل جريدة « التايمس » اللندنية في انقره يقول ان عدد اللاجئين الاكراد الذين اجتازوا الجبال من شمال العراق الى جنوب تركيا الشرقي بات يقــدر بحوالي ثلاثة الاف شخص .

« ولم يصدر عن المسؤولين الاتراك اي تعليقات . وكان المصدر الوحيد للمعلومات هو مراسلو الصحف التركية في ولاية هكارى التركية الواقعة في جنوب البلاد الشرقي » .

وقال المراسل : « ان رسائل هؤلاء المراسلين تقول ان

اللاجئين كانوا يفدون جماعات خلال الايام الستة الاولى من ايار والايام الاربعة الاخيرة من نيسان . وان الفريق الاول الكبير من هؤلاء اللاجئين وعدده ٧٠٠ شخص كان بقيادة الشيخ رشيد الذي يبدو انه من قبيلة الزبارى . ويتحدث بعض المراسلين كذلك عن قبيلة براندو . ولم يتمكن ناطق في السفارة العراقية من التعرف الى هذا الاسم .

« ويفد بعض اللاجئين وهم مصابون بجروح . ويعتقد ان قتالاً قد دار بينهم وبين قبيلة البرازاني قبل مغادرتهم العراق .

« وقد اجتاز فريق آخر، عدد افراده ٦٥٠ شخصاً ، الحدود قبل يومين .

« والسلطات التركية شديدة الحساسية حيال هذا الموضوع ، كما هي الحال دائماً عندما يتحرك الاكراد . ولا يسمح لاي مراسل اجنبي بزيارة المنطقة » .

واوردت « وكالة الانباء العربية » نبأ مفاده انه نشر في لندن ان مقر قيادة الحركة الكردية الشيوعية التي ترعاها روسيا يقوم الآن في السليمانية قرب الحدود الايرانية في شمال العراق ، حيث يفترض قدوم اللاجئين منها . وقالت ان عدداً لا بأس به من العملاء الروس قد ذكر انه مقيم في السليمانية .

رأي الشيوعيين

بدهي بعد ذلك ان ننتظر رأي الشيوعيين والاكراد الشيوعيين في الموضوع . اذ ، كيف يفسرون هذا الصراع

الكردي الداخلي الدموي ، وهم الذين اعلنوا عن انفسهم انهم حماة حقوق الاكراد « القومية » وجعلوا الناس يتوهمون ان الحزب الشيوعي في العراق انما ينطق باسم جميع اكراد العراق دون استثناء ؟ وكيف يفسر الشيوعيون والاكراد الشيوعيون وقوف ذلك العدد من القبائل الكردية في وجه القوات الرسمية ؟ وكيف يفسرون هرب ثلاثة آلاف كردي من العراق ؟

جواب الشيوعيين عن ذلك معروف . فالشيوعيون حين تفحمهم الحجة والواقع لا يجدون وسيلة للرد غير ارسال التهم . تقول جريدة « اتحاد الشعب » الشيوعية ان الاقطاعيين هم الذين قاموا بالثورة في شمال العراق وان الثورة مأجورة اميركية ناصرية الخ ... ولكن الجريدة نفسها تعترف بان الوفاً من عائلات الاكراد نقلت الى داخل تركيا لكي تكون في مأمن من نشوب المعارك . وكيف اذاً تكون الثورة اقطاعية عندما يكون الى جانبها الوف العائلات ؟ اليس الاقطاعيون عدداً من الملاكين محصوري العدد ؟ واذا كان صحيحاً ان الثوار هم من الاقطاعيين فلماذا ترحل العائلات الى تركيا؟ لماذا لا تنضم هذه العائلات الى قوات « المقاومة الشعبية » وتنزح الى داخل العراق؟

ومن جهة اخرى هل يعقل اتهام القائمين بهذه الثورة بانهم « عملاء » لايران او لتركيا ؟ هل يعقل ذلك ما دامت ايران وتركيا لا تتمنيان ، حرصاً على مصلحة كل منهما ، الا ان يخيم الهدوء على تلك المناطق المتاخمة لحدودهما ؟

اما اتهامهم بانهم عملاء اميركيون فصيغة استعملها الشيوعيون

كثيراً . استعملوها مع ثوار هنغاريا والمانيا الشرقية واستعملوها مع كل ثورة تحدث في بلد يتسلطون او يريدون التسلط عليه .

ونحن اذ نسجل الحوادث الاخيرة التي وقعت من ٢٨ نيسان الى ٦ ايار لا يسعنا الا ان نتحفظ بشأن ما تخبئه الايام المقبلة . اذ يبدو ان حركة الثوار الاكراد لن تنتهي بسرعة ، كما يشتهي الشيوعيون ، ولنـــا من تاريخ ثوراتهم الدليل الكافي على مـــا نسوق .

ماذا يترتب على المطالبة بانشاء كردستان ؟

ماذا يترتب على المطالبة بانشاء كردستان ؟ وهل ان تحريض الاكراد وسائر الاقليات في الشرق الاوسط وتحريك قومياتهم من مصلحتهم هم ومن مصلحة الشرق الاوسط في هذا الظرف ؟

قبل كل شيء لا بد من قليل من الجغرافية .

كردستان منطقة تمتد من جنوبي شرقي تركيا الاسيوية حتى شمالي العراق وايران .

وفي جنوبي ارارات تمتد سلسلة ضخمة من الجبال تتجه جنوباً على مسافة الفي كيلومتر ثم تتشعب وتنحرف نحو الجنوب الشرقي حتى الخليج الفارسي . وتقع جبال الاكراد بين ارارات وجبل جلاميرغ ، وتحدها شمالاً قمم جبلي ارمينيا وجنوباً هضبة اذربيجان ثم هضاب بلاد الفارس .

وتقع جبال زغروس في الجنوب الشرقي من ارمينيا ، وهي تشكل الحدودالطبيعية بين ايران والعراق ولا يفصلها عن ارمينيا

سوى جبال صركيرامار .

ويعيش الاكراد اليوم على اراض شاسعة تبدأ قرب بغداد عند ضاحية مندلي وتمتد شمالاً على طول حدود العراق وايران وتركيا حتى جبل ارارات . وهي تشمل منطقة القوقاز السوفياتية اي مقاطعتي ارمينيا واذربيجان .

هذا الحزام المؤلفة منه جغرافية كردستان يمثل ، في حال الغزو او الحرب ، خطراً على دول ثلاث هي : العراق وايران وتركيا . وبما ان هذا الحزام تحتضنه جبال ارارات فالخوف لا ينبعث من كردستان نفسها بل مما يحتضن كردستان ، اي من الاتحاد السوفياتي .

اذا تكونت كردستان في العراق وجعلت عاصمتها كركوك – مثلما يطالب راديو ارمينيا السوفياتية – فيكون الخطر ، اول ما يكون ، على ايران .

ولن يكون هذا الخطر من الاكراد ، بل من الاكراد الشيوعيين ، اذ سيصبح من السهل جداً على الاتحاد السوفياتي ان يوعز الى الاكراد الشيوعيين باي خطة فيقومون بها !

ويعلق السيف كذلك فوق رأس الافغان .. اذ ، متى سقطت ايران ، بعد تطويق العراق وجمهوريات الاتحاد السوفياتي يصبح المنفذ سهلًا الى الافغان التي تحدها ايران غرباً والاتحاد السوفياتي شمالاً .

ومتى سقط العراق وسقطت ايران امكن تطويق تركيا التي يحدها شمال شرق الاتحاد السوفياتي وشرقاً ايران وجنوباً

العراق وسوريا والمتوسط وغرباً (القسم الاوروبي) اليونان وبلغاريا وشمالاً البحر الاسود .

وبعد ذلك ماذا يحل بسوريا، والكويت، والسعودية الخ؟..

مكمن التخوف الرئيسي في الموضوع هو ان تستعمل كردستان ، في حال انشائها ، لتسرب السيطرة الشيوعية الى ايران . ومتى امكن الشيوعيين ان يسيطروا على ايران لن يسجلوا هزيمة للديمقراطية وحسب ، بل لأيران والشرق الاوسط والبلاد العربية ايضاً .

فروسيا تشعر نحو ايران بشهية بالغة .. منذ حول بطرس الاكبر روسيا الى دولة كبرى وهي تستهدف الخروج من عزلتها الجغرافية على العالم عن طريق تركيا للوصول الى البحر المتوسط، وعن طريق ايران للوصول الى الخليج الفارسي والمحيط الهندي . وخاضت روسيا في القرون الثلاثة الاخيرة حروباً عدة من اجل هذه الغاية ، فلم تنجح .

اما بريطانيا فان وجودها في الهند جعلها تتدخل هي الاخرى في ايران ، لكي تضمن طريق الهند ، كما تضمن من جهة اخرى عدم نزول روسيا الى ايران لتقطع عليها طريق الهند .

واليوم ، تتابع روسيا السعي للوصول الى غايتها عن طريق الشيوعية ، بينما تحولت طريق الهند عند الانكليز الى طريق البترول... وهكذا تجد ايران نفسها بين تنافس دولتين كبيرتين.

وعام ١٩٥٩ ارتبطت ايران باتفاق دفاعي مع اميركا ، لأنها شعرت بأن القوة الاميركية هي القوة الحربية الوحيدة التي تستطيع

ضمان سلامتها أمام القوة السوفياتية .

في ضوء تلك الوقائع قلنا ان سقوط ايران بأيدي الشيوعيين سيكون هزيمة للعالم الحر .

كردستان ... والخليج العربي

لا ريب في ان كل ما يجري الآن في العراق يترك اثراً عميقاً على ما حوله . ومن أهم ما يتأثر به جيران العراق تلك الدعوات الشعوبية التي يروج لها الشيوعيون ويطلقونها .

وأمارات الخليج العربي عرضة للتأثر بهذه الدعوات اكثر من سواها من البلدان العربية .

يفهم من اتجاه الشيوعيين في بغداد ان الدولة العراقية ينبغي ان تقوم على اساس « الشركة » بين عدد من القوميات هي : العربية، والكردية – على العموم – والعربيـــة والكردية والاشورية والكلدانية والارمنية والتركية والايرانية الخ ... على الخصوص.

واذا قدر لهذا المفهوم السياسي الذي يباركه الشيوعيون ويحثون عليه في العراق ، ان يأخذ مجراه ويقف على قدميـه ، فما يكون تأثيره على امارات الخليج العربي ؟

لا بد ان يكون تأثيراً سيئاً ... فطبيعي ان يكون هناك خطر في ان تنهض حركات ودعوات شعوبية تنـادى بالأوطان « الشركات » في كل امارة او مشيخة من أمارات الخليج العربي ومشيخاته . والخطر في ذلك تكشف عنه الأرقام الآتية :

في البحرين : حسب احصاءات عام ١٩٥٠ – ١١٥ الف شخص

منهم ٣٠ – ٤٠ الف اجنبي . ومن هؤلاء الاجانب القسم الأكبر ايرانيون والبقية هنود وأرمن ويهود .

وفي الكويت نسبة كبيرة من الايرانيين والافغانيين والهنود والأرمن ، لم تحدد ارقامهم بعد . وكذلك قطر وفي الجانب الآخر من الجزيرة العربية .

وواضح ان نسبة التركيب العنصري والتجمعات الشعوبية في أمارات الخليج ومشيخاته اكثر من نسبة ذلك بشأن العرب المقيمين في العراق ، من هنا خطورة ما ذهب اليه حكام العراق – ومن ورائهم الشيوعيون – في المناداة بالوطن الشركة . اذ ، اذا كان حق الاكراد ، مثلًا ، ان يكونوا شركاء في الحكم على قدم المساواة مع العرب العراقيين شيئاً حسناً جداً ، فذلك لا يضمن ان لا تقوم المشكلة نفسها في بلد عربي آخر يقدم الامكانات الشعوبية نفسها والقابليات العنصرية نفسها ان لم يكن اكثر .

من هنا ان المغالاة في القضية الكردية قد تؤدي –والشيوعيون جاهدون في العمل من أجل ذلك – الى فقدان العراق هويته العربية . وفقدان العراق لهويته العربية سيكون له تأثير عميق في منطقة الخليج .

واذا كان حكام الأمارات العربية لا يزالون يثقون بانظمتهم وقوة تسلطهم على العناصر غير العربية التي استطونت بلادهم ، فان هذه الثقة معرضة للتجربة ان نجحت فكرة الوطن الشركة في العراق . وعندئذ قد تتطور الأوضاع الشعوبية في الخليج العربي

تطوراً آخر ..

بمعنى انه اذا نجح الاكراد الشيوعيون والسائرون في ركابهم ، ومن ورائهم الشيوعيون ، ناهيك بالأقليات الاخرى ، في افقاد العراق هويته العربية ، فمن يضمن ان لا تقوم دعوات في الخليج تنادي بالأمر نفسه ؟

ان الاكراد في العراق اليوم امام تجربة خطيرة جداً . الاكراد الوطنيون يتحسسون بخطورة التجربة ، ووعيهم لها يجعل الباب مفتوحاً للتفاؤل بامكان تحطم الدسائس الشيوعية على صخرة هذا الوعي .

والاكراد في العراق — وفي العراق خصوصاً — لا يمكنهم ان يشكوا باخوة العرب لهم . واذا كان قسم منهم قد اضطهد في ايام نوري السعيد فليس الا لاسباب لا تعبر عن رأي العرب بالمرة . كما يجب الا ننسى ان معظم الاكراد الذين اضطهدوا في ايام نوري السعيد اضطهدوا لقيامهم بنشاط شيوعي هدام ، والاكراد الآخرون تمتعوا بمساواة تامة مع الشعب العربي .

مخرج

يتضح من تفاصيل هذه الدراسة ان الاتحاد السوفياتي يبتغي من اثارة الاكراد الموالين له شيئين اثنين :

١ ـ الاشاعة بانه هو الذي يتبنى قضيتهم وانه ينطق باسمهم جميعاً وانهم جميعاً متضامنون معه ، وهكذا يسهل الضغط على الحكومة العراقية لتشييع العراق ان لم يكن دفعة واحدة فعلى مراحل .

٢ ـ رأت السياسة الروسية ان تلعب ورقتها في الشرق الاوسط فصوبت سهمها الى الدول العربية التي لم تلبث ان كشفت عن حقيقة الورقة وفضحت نيات الروس المبيتة . ولما باءت بالخذلان وجهت جهودها الى القبائل الكردية الموزعة في سوريا والعراق وتركيا وايران متوخية اصابة اربعة عصافير بحجر واحد . .

هذا من الناحية القريبة المدى . ومن الناحية البعيدة المدى يتوخى الروس من اثارة القضية الكردية الوصول الى انشاء دولة كردستان وجعلها ، كاسرائيل ، حجر عثرة في وجه الحركة القومية العربية من جهة ، واتخاذها جسراً الى ايران ـ في الدرجة الاولى ـ

من جهة اخرى .

ولكن من الثابت ان روسيا تصادف عراقيل كثيرة . فالاكراد الموالون لها قلائل ، والسواد الاعظم منهم قابلون لمعايشة العرب في العراق على قدم المساواة دون قلاقل وفتن .

واعتقدت روسيا والشيوعيون ان بامكانهم تأليب الاكراد على العرب بايهامهم ان العرب عنصريو القومية وبتحريك النعرات العنصرية في الاكراد . وهنا كذلك اخفقت روسيا واخفق الشيوعيون. فالاكراد يعلمون ان العرب ليسوا قوميين عنصريين والا لما اشركوهم في حكم العراق . والعرب يعرفون ان الاكراد ليسوا اعداء لهم بدليل تاريخ جهاد الاكراد الحافل جنباً الى جنب مع العرب .

بقيت قضية كردستان ...

ان هذه القضية لا يجوز بحثها الا من طرفين اثنين فقط : العرب ، والاكراد ! وكل بحث يجري في غير هذا النطاق يصبح عرضة للاستغلال . ان الاتحاد السوفياتي يجب ان يبقى في معزل عن هذه القضية ، فالعرب والاكراد كفيلون ، وحدهم ، بالوصول الى حل .

ان دعاية الشيوعيين تنادي ليل نهار في العراق بالاخاء الكردي ، ولكن اين الاخاء وهي تسلح الكردي ضد العربي وتستدعي المتطوعين من الاتحاد السوفياتي ؟ اين الاخاء والشيوعيون في العراق ينمون الاحقاد ويطرحون المشكلة في مستوى يعقد الحلول بالنسبة للعرب والاكراد معاً ؟

اذا كان بين الأكراد شعوبيون فليس الاكراد جميعهم شعوبيين ، فالشعوبي هو الذي يحقد على العربي ويضع نفسه في تناقض وتعارض معه ، والتاريخ يثبت ان طريق الاكراد لم يكن هذا الطريق ، ولا يمكن ان يكون طريقهم لانه يتعارض مع كثير من مشاعرهم وقيمهم ومع مصلحتهم المباشرة . فالعرب هم انصارهم وليس الاتحاد السوفياتي والشيوعيون . واطماع الاتحاد السوفياتي التي انصبت على العرب متسترة بثياب الحملان وعرف العرب كيف يكشفونها ، تنصب اليوم على الاكراد بلباس القرمية . ولا شك بان الاكراد سيفيدون من تجربة العرب مع اطماع السوفييت ويتقون منذ البداية الانزلاق الى ما لا يريدونه هم ولا يريده لهم العرب، انصارهم الحقيقيون.

مصادر البحث

في ما يلي اهم المصادر التي اعتمدناها :

– الاكراد ، باسيل نيكيتين ، دار الروائع ١٩٥٩ .

– الى اين يسير الشيوعيون بالعراق ، انعام الجندي ، دار النشر العربية ، ١٩٥٩ .

– نحن والعراق والشيوعية ، خطب للرئيس عبد الناصر ، دار النشر العربية ، ١٩٥٩ .

– التغلغل الشيوعي في الشرق الاوسط ، رفيق المعلوف ، دراسات في القضايا المعاصرة ١٩٥٩ . (توزيع دار الثقافة ، بيروت) .

– الاستعمار في ديار الاسلام ، الفونس غوبي ، دار المكشوف ، ١٩٤٧ .

– تركيا بين جبارين ، باسيل دقاق ، دار المكشوف ، ١٩٤٧ .

– بيان المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي في ٣ ايلول ١٩٥٨ .

– مجلات : نيوزويك ، ايستوريا وسواهما ...

كفاح
العرب
١